البنيوية والتفكيكية

دراسة لأبرز اتجاهاتها الفكرية المعاصرة

"Structuralism and Deconstruction, A Study of Its Most Prominent Intellectual Trends".

إعداد:

د. عبد الرحمن بن غالب عواجي

Dr. Abd al-Rahman bin Ghalib Awaji

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية

Assistant Professor, Department of Islamic Creed, Faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion

البريد الإلكتروني: aa.g.alawaji@gmail.com

الاستقبال - Received: 2021/09/21، القبول - Accepted: 2021/12/08، النشر - Published: 2022/03/31

رابط DOI: 10.36046/2323-055-200-017

المستخلص

تطرقت هذه الدراسة إلى منهجين من أبرز المناهج النقدية لمعاصرة في الغرب، ولذلك جاءت تسميتها بعنوان" البنيوية والتفكيكية، دراسة لأبرز تياراتها الفكرية" فقد انتشرت انتشارا واسعا بين المثقفين والأكاديميين, خصوصا في أواخر القرن المنصرم, إلى يومنا هذا، وقد تطرقت هذه الدراسة إلى البنيوية فعرّفتها وبيّنت نشأتها ثم تطرقت إلى الاتجاهات الفكرية التي حوتها، ثم عرّفت بالتفكيكية وبيّنت نشأتها والعوامل التي ساعدت على بروزها ثم أبرزت أهم اتجاهاتها الفكرية التي تبنتها التفكيكية ثم قارنت مقارنة موجزة بين التفكيكية والبنيوية، مع العلم بأن هذه المدراس النقدية لم تقتصر على اتجاه الفن والأدب واللسانيات الحديثة فقط بل كانت لها أفكار واتجاهات وتيارات فكرية تبنتها البنيوية والتفكيكية وهو ما حرصت هذه الدراسة على إبرازه، ولذلك تجنبت هذه الدراسة غالبا المنعطفات اللغوية وفن اللسانيات التي تبرز عادة عند دراسة البنيوية والتفكيكية، وقد خلصت هذه الدراسة إلى ذكر أبرز التيارات الفكرية التي تبنتها والتي ستتبين خلال هذه الدراسة.

Abstract

This study discussed two of the most prominent contemporary critical approaches in the west, hence its title, “Structuralism and Deconstruction, a study of its most prominent intellectual trends.” It has spread widely among intellectuals and academics, especially from the late last century to the present day. This study discussed structuralism by defining it and explaining its origin and the factors that help its emergence and its most prominent intellectual trends that were embraced by deconstruction followed by a brief comparison between structuralism and deconstruction, knowing that these criticism schools are limited to the trend of art and literature and modern linguistics only, rather, it has ideas, trends, and intellectual ideologies adopted by structuralism and deconstruction, which this study was keen to highlight. Therefore, this study often avoided the linguistic turns and art of linguistics that usually appear when studying structuralism and deconstruction.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد.

فقد ظهرت مناهج النقد الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك إثر النهضة الكبيرة التي برزت في الأبحاث العلمية والطبيعية، وأصبحت تعرف بما يسمى بالنقد العلمي.

وهذه المناهج النقدية نشأت وأثمرت وأينعت في خضم المعتركات الحداثية وما بعد الحداثية التي تقاذفت المفاهيم والأفكار البشرية في الغرب، خصوصا بعد سطوة العلم التجريبي، وبناء الإنسان الحديث الذي غلبت عليه الروح المادية، والبناء الديناميكي للوجود.

وفيما يلي تحاول هذه الدراسة استعراض الاتجاهات الفكرية التي رافقت المنهج البنيوي والمنهج التفكيكي، وهي من أواخر المناهج النقدية، التي كانت ولا زال الكثير منها موضع تبجيل لدى النقاد، وما يهمنا هنا هو مناقشتها من جوانبها الفكرية متنحيا فيها عن الجوانب الأدبية واللغوية قدر المستطاع.

مع العلم بأن المنهجين البنيوية والتفكيكي كانا من أواخر تلك المناهج النقدية، إلا أن كثيرا من المناهج تقدمت عليهما، وقد رافقتهما كثير من التيارات الفكرية التي عصفت بكثير من مفاهيمهما الفكرية، ومبانيهما الميتافيزيقية(١)، ونظرتهما إلى الدين – وهو ما يحتاج إلى دراسة مستقلة في ذلك –.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

من أبرز الأمور التي تبرز أهمية البحث ما يلي:

١- أن لعلم العقيدة مواقف ظاهرة من تلك الأفكار التي رافقت المناهج النقدية والأدبية، فقد كان لتلك المناهج مواقف مختلفة من الدين وما يتعلق به، فهي وإن ظهرت

(١) الميتافيزيقيا: يطلق عليها علم ما بعد الطبيعة، أو العلم الذي يتأمل الموجودات الماورائية أو الأشياء اللامادية. انظر: جلال الدين سعيد، "معجم المصطلحات الشواهد الفلسفية", (ط١، تونس، دار الجنوب للنشر, ٢٠٠٤م): ص٤٦٠.

بمظهر أدبي أو نقدي، إلا أن لها مواقف من الدين بشكل عام، فدراستها من منظور عقدي له غاية الأهمية في الرد على مواقفها من ذلك.

٢- أن إبراز الاتجاهات الفكرية التي تبنتها تلك المناهج النقدية يختصر على الباحث كثيرا من الوقت والجهد، إذ عادة ما تكون تلك الاتجاهات الفكرية لتلك المناهج الأدبية والنقدية مبعثرة في عامة كتب اللغة والنقد.

٣- أن لتلك المناهج اتجاهات فكرية ورؤى بنت عليها آراء فكرية، حقها أن تبرز ويهتم بدراستها المختصون غاية الاهتمام.

٤- خفاء الاتجاهات الفكرية لهذه المناهج النقدية، حيث كان لها اتجاهات فكرية، ورؤى ميتافيزيقية، وتيارات منهجية، ومباني فكرية، وكانت تلك المناهج النقدية هي الناطقة باسمها والمعبرة عن رسمها.

٥- أن تلك المناهج هي المؤثرة في حقيقتها في عالم اليوم، فهو بحث معاصر، ينظّره الأدباء والنقاد، وتتعايش معه المجتمعات بعلم وبدون علم أيضا.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات الأكاديمية فيما يختص بالبنيوية والتفكيكية – حسب اطلاع الباحث- إلا أن دراساتها تنطلق من منطلق لغوي أو ألسني، وليس من منطلق إبراز التيارات الفكرية للبنيوية والتفكيكية، وهو ما اختصت به هذه الدراسة، إلا أن بعض تلك الدراسات عرّجت على بعض تياراتها الفكرية أثناء الكلام عنها، ومن أبرز تلك الدراسات ما يلي:

رسالة ماجستير بعنوان البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، من إعداد: وردة عبد العظيم، مقدمة لجامعة غزة، بقسم اللغة العربية، وكذلك رسالة دكتوراه، بعنوان أثر الدراسات البنيوية في النقد الأدبي الحديث، من إعداد: آمال ناصر، من جامعة أبي بكر بلقايد، بقسم اللغة العربية، وغيرها من الرسائل العلمية التي تنطلق من منطلق لغوي، تحت أقسام اللغة العربية بالجامعات المختلفة، وهناك رسالة علمية بعنوان البنيوية جذورها وتطورها وأسسها الفلسفية وأثرها على الفكر، وهي رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ورسالة أخرى بعنوان الماركسية البنيوية دراسة عقدية تحليلية نقدية، وهي رسالة دكتوراه بجامعة القصيم – تعذر اطلاعي عليهما- ولكن كما يظهر من

عنوانيهما، فالأولى تختص بالبنيوية وأفكارها فقط، وأما الثانية فتختص بالماركسية البنيوية، والتي انطلقت من البنيوية، ولكنها تتبنى أصول المذهب الماركسي، وليس البنيوية الشكلية التي تختص بها هذه الدراسة، بالإضافة إلى أن دراستي حوت التفكيكية أيضا.

وللدكتور عبد الوهاب جعفر بعض الكتب في البنيوية ربطها ببعض الشخصيات دون التركيز على البنيوية بشكلها العام ككتاب البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، وكتاب البنيوية في الانثربولوجيا وموقف سارتر منها، بينما هذه الدراسة تركّز على الأفكار، وليس على الشخصيات، ودراستها بشكل عام، دون التقيد بشخصية معينة، مع إضافة المنهج التفكيكي.

وقد اكتملت خطة هذا البحث فيما يلي:

المبحث الأول: المنهج البنيوي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف البنيوية ونشأتها ومصادرها.

المطلب الثاني: أبرز الاتجاهات الفكرية للبنيوية.

المبحث الثاني: المنهج التفكيكي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التفكيكية ونشأتها.

المطلب الثاني: أبرز الاتجاهات الفكرية للتفكيكية.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على المنهج التالي:

١- سلكت طريقة المنهج الوصفي لوصف التيارات الفكرية التي ترافقت مع ظهور المناهج الأدبية التي تبنتها، وكذلك طريقة المنهج النقدي، للتعقيب بنقد ما يحتاج إلى ذلك.

٢- عند ذكر المرجع لأول مرة في البحث، فإنني أنقل اسم الكتاب والمؤلف ومعلومات الطبع الواردة في الكتاب، وإن تكرر المرجع فإنني أكتفي باسم الكتاب والمؤلف فقط.

٣- ختمت البحث بفهرس معلومات المراجع التي الواردة في صلب البحث.

المبحث الأول: المنهج البنيوي

المطلب الأول: تعريف البنيوية ونشأتها ومصادرها

أ- تعريفها ونشأتها:

المنهج البنيوي هو منهج فلسفي فكري يفترض وجود أبنية في شتى المجالات الحياتية ويعمل على استخراج تلك البنى وفق نظام معين، ولذلك لم تكن البنيوية مقتصرة على الأدب فقط وإنما أصبحت منهاج حياة يستعمل في شتى المجالات.

ويرى بعض الباحثين أن البنيوية ليست فلسفة "لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود، ولأنها كذلك فهي تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه وبإزائه"[١].

فهي ترمي إلى النظر للواقع الاجتماعي كله، وبوصفه تفاعلا بين أبنية جمعية لا واعية، ويرى أحد أبرز رواد البنيوية وهو الفيلسوف الألماني" يوهان شتراوس" ١٨٩٩م أن البشر عبارة عن موجودات اجتماعية تتصف بأنها حوامل لا واعية لنظام كلي، نابع من أبنية لم تكتشف بعد"[٢].

ولذلك يعرفها البعض بأنها: مجموعة من علامات متكاملة ومتناقضة فيما بينها، وتشكّل هذه العلامات نسقا، ولا يتحقق لواحدة منها وجود إلا وهي في علاقة بالعلامات الأخرى[٣].

فالمجتمع – في مفهومهم– محدد بمجموعة من التمثيلات الذهنية اللاواقعية التي يتقاسمها أفراد المجتمع، ليصبح الفرد والمجتمع الداخل وفق هذه التمثيلات الذهنية رموزا

(١) كمال أبو ديب، "جدلية الخفاء والتجلي" ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م):٧.

(٢) أديث كريزويل، " عصر البنيوية"، ص٢٠ وانظر: وردة قنديل، "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي". ص٢٨.

(٣) انظر: الهادي التهامي، "المدارس التاريخية الحديثة" (ط١، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٣م): ١٥١.

مدرجة، وفق نظام معين[١].

ورغم ما يكتنف هذه المعاني من غموض – من وجهة نظري- إلا أن السمة العامة لها هو اتفاقها على أنها تقتضي التعامل مع الأشياء عموما، بما فيها الإنسان تعاملا علميا مجردا، يتكون من بِنى متعددة، وبين هذه البنى اتصال وثيق وذلك في منهج معين.

وقد حدد البنيويون ثلاث خصائص للبنية وهي:

أ- الكلية والشمولية: وتعني أن البنية تتألف من عناصر داخلية متماسكة.

ب- التحويلات: وتعني أن البنية ليست ساكنة سكونا مطلقا، وإنما هي خاضعة للتحولات الداخلية، فهي غير ثابتة، تتولد من داخلها بناءات دائمة التغيير.

ت- التنظيم الذاتي: وتعني أن للبنية القدرة على تنظيم نفسها، مما يحفظ لها وحدتها، ويضمن لها البقاء، فلا تحتاج إلى أمر خارجي لتحريكها، وإنما تعتمد على أنظمتها اللغوية الخاصة بسياقها اللغوي[٢].

ومن هذا المنطلق تعدد رواد البنيوية في مختلف المجالات، فظهر اسم عالم اللغة السويسري فريدناند سوسير ١٩١٣م كرائد للمنهج البنيوي فيما يختص بنصوص النقد الأدبي، في علم اللغة، إلى جانب فلاسفة البنيوية الآخرين، مثل جورج ديميزيل ١٩٨٦م في علم الأديان، وجاك لاكان١٩٨١م في علم النفس للتجريبي، ولويز ألتوسير١٩٩٠م في الماركسية، وفي علم الاجتماع عالم الاجتماع البريطاني رادكليف براون ١٩٥٥م وغيرهم.

فمثلا نرى براون وهو أحد رواد البنيوية في علم الاجتماع، يرى أن دراسة المجتمع تقوم على أساس بنيوي يشير إلى الترابط الداخلي بين ثلاثة أمور وهي البنية والصيرورة والوظيفة.

ونرى أيضا عالم الأديان البنيوي كلود ليفي شتراوس ٢٠٠٩م، يرى أن الدين يتأسس

---

(١) انظر: ت أ. أسخاروفا، "من فلسفة الوجود إلى البنيوية" ترجمة: أحمد برقاوي، (ط١، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٤م): ص١٦٦. وانظر: وردة قنديل، "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي". ص٢٧.

(٢) انظر: بشير تاوريت، "محاضرات في النقد الأدبي المعاصر" (ط١، دار الفجر، ٢٠٠٦م): ص١٢.

على أنسنة القوانين الطبيعية، وأنه ليس هناك دين بدون سحر.. إلى آخر ما يقول[1].

ويقوم زعم البنيوية الأساسي على نفي وجود أي واقع مستقل عن اللغة، فالواقع الألسني بأكمله ومفاهيمنا عنه، تحددها لغتنا، كونها نتاجا لهذه اللغة[2] فاللغة هي الأساس الفاعل في معرفة الأشياء وهي القدوة والمثل لمختلف العلوم، وباللغة نعرف العالم وبها نبنيه، فما نعرفه من العالم يتم تحديده من خلال اللغة المستخدمة[3].

يقول سوسير: " إن اللغة ليست مجموعة حسابية للعبارات التي تفوه بها قسم من الناس، بل إنها شيء آخر يربطهم جميعا، في إطار منتظم، فهي نظام من الدلائل موجود في أدمغة الجمهور، يمارس عند اللفظ لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى مجموعة واحدة ... فهي ليست تامة عند فرد بمفرده، ولا وجود لها على الوجه الأكمل إلا عند الجمهور"[4].

ولذلك تعرّف البنيوية من منظور الجانب اللغوي بأنها: نظرية قامت على تحديد مهام العناصر الداخلية في تركيب اللغة، وأن هذه العناصر ضُمّنت في مقارنات مع غيرها من العناصر في المناهج النقدية الأخرى، وقد أدرجت هذه العناصر في منظومات واضحة[5].

وفي جانبها الأدبي تتمثل في دراسة أبنية العمل الأدبي، وعلاقات بعضها ببعضها الآخر، حيث كرست البنيوية اهتمامها لمسائل الشكل الأدبي، أي البنية، بدلا من المحتوى الاجتماعي أو التاريخي، كالمناهج التي قبلها.

ولذلك يقول الناقد البريطاني رامان سلدن١٩٩١م- أستاذ اللغة في جامعة لانكستر وسندرلاند بوليتكنيك-: "إن المناهج البنيوية في دراسة الأدب تتحدى بعضا

(١) ميشال مسلان، علم الأديان، "مساهمة في التأسيس" ترجمة: عز الدين عناية، (ط١، أبو ضبي: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م): ٢١٧.

(٢) انظر: ت أ. أسخاروفا، "من فلسفة الوجود إلى البنيوية" ص١٦٧. وانظر: وردة قنديل، "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي". ص٢٧.

(٣) انظر: بردنل وآخرون، "النقد الأدبي" ترجمة: هدى وصفي، (القاهرة، دار الفكر، ١٩٩٠م): ص١٠٨ وانظر: وردة قنديل، "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي". ص٢٨.

(٤) فرناندو ديسوسير، "دروس في الألسنية العامة" ترجمة: صالح الفرماوي وآخرون، (تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٥م): ص٣٥٥. وانظر: وردة قنديل، "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي": ص٩.

(٥) انظر: جبور عبد النور، "المعجم الأدبي" (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م): ٥٢.

من أهم المعتقدات الراسخة عند القارئ العادي، فمنذ عهد بعيد، وهذا القارئ يرى أن العمل الأدبي وليد الحياة الإبداعية لمؤلفه، وأن النص الأدبي تعبير عن ذات صاحبه ونقطة لقاء حميم على المستوى الروحي والإنساني بين القارئ وبين المؤلف ومشاعره.. ولكن أنصار البنيوية يحاولون إقناعنا أن المؤلف ميت، وأن النص الأدبي خطاب لا تتضمن وظيفته الإخبار بالحقيقة"[١] ومن هنا عدّها بعض النقاد امتدادا للمدرسة الشكلية[٢].

وقد هاجمت البنيوية كل المناهج النقدية المتقدمة عليها، ويظهر ذلك بوضوح عند بعض رواد البنيوية، كالعالم البنيوي الفرنسي رولان بارت ١٩٨٠م –أستاذ علم الاجتماع في كلية دي فرانس بباريس– حينما يهاجم النقد القديم، بل يسميه كلاما وليس نقدا، ويرى أنه ليس إلا إعادة ذاتية بنفس نمط الكتابة فيقول: "والواقع أن الكلام الأدبي الذي مارسه النقد القديم لا يهمنا بتاتا، ولا يسعه أن يفكر بشكل مختلف.. وقد يبدو أمرا غير ذي فائدة أن أطلب من الآخر مراجعة كتابة ذاته، إذا لم يقرر إعادة تفكير ذاته، ولا يرى النقد القديم في لهجة النقد الحديث، إلا تجاوزات في الشكل مغلّفة بتفاهات عميقة"[٣].

فرولان بارت يرى أن المناهج الأخرى كالتاريخية والنفسية والاجتماعية مناهج قديمة، ويصفها بالعلوم البرانية، أي السياقية الخارجة عن النص ومحتواه، ويرى أن النقد الذي يجول في النص ومحتواه بعيد عن المؤثرات الخارجية هو النقد الجديد، في فك رموزه ومعرفة مبانيه، والوصول إلى محتواه الحقيقي.

فالمنهج البنيوي ألغى المناهج القديمة في نمط تفكيرها وأسلوبها في تحليل النص أو نقده، واخترع منهجا له أسلوبه الخاص وطريقته المعينة التي تقوم على عدة أمور، كالتناقضات الثنائية التي من خلالها تبني مفهومها الأدبي والفكري، وتقوم كذلك على مبدأ العلاقات بين

---

(١) رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ٨٧.

(٢) الشكلية: كما يوحي الاسم: هي نهج تفسيري يركز على الشكل الأدبي ودراسة الأدوات الأدبية داخل النص أي التي يتكون منها النص، وكان للشكلية تأثير على البنيوية ونظريات السرد الأخرى. انظر: لان جفرسون، وديفيد روبي، "النظرية الأدية الحديثة" ص ٣٧ ورامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ٢.

(٣) رولان بارت، "النقد البنيوي للحكاية". ترجمة: أنطوان أبو زيد، (ط١، بيروت: باريس: منشورات عويدات، ١٩٨٨م): ٤٥-٤٦.

الأشياء، ولا تنظر إلى الوجود الجوهري، فهي تلغي الكلمة، وتعتبر أنها رمز تعسفي، لا تدل على مدلولها.

أبرز أسباب نشأة البنيوية:

هناك جملة من الأسباب التي أسهمت في ظهور البنيوية، من أبرزها ما يلي:

١- ظهرت كردٍّ فعلٍ ضدَّ اللاعقلانية الرومانسية، وعلى التحليلات التي تربط الأدب بمحيطه الاجتماعي والتاريخي، إلى جانب معارضته للمنهج الاجتماعي النقدي والمنهج النفسي.

ولذلك يرى رولان بارت أن هذه المناهج النقدية هي تاريخ الأدب وليس علم الأدب فيقول: "إننا نملك تاريخا للأدب، وليس علما للأدب، ولعل السبب يكمن من غير ريب في أننا لم نستطع حتى الآن، أن نعرف طبيعة موضوع الأدب معرفة كاملة، مع أنه موضوع مكتوب"(١)

فيرى بعض النقاد أنه قد: "أدَّت الثورة ضد المجمل الأدبي - لاستعماله للتاريخ والسيرة استعمالًا غير محدَّد - إلى ثورةٍ من نَحو ما على التاريخ والسيرة.

أو قُل: أدت إلى القول بأن هذين أَدَاتان لا حاجة للناقد بهما؛ فالمهمة الأولى للنّاقد هي أن يصف الآثار الأدبيّة بدقة(٢).

وهذا ما عمل عليه المنهج البنيوي فلم يلتفت إلى النواحي المساوقة للنص، أو لنقل لم يلتفت إلى النواحي الخارجية عن النص، كالتاريخ والمجتمع وغيرها، بل عمل على النص نفسه ببنايته التركيبية.

٢- الأزمة التي كانت تعاني منها العلوم الإنسانية، والارتباك الذي انتاب منظومة القيم التي كانت سائدة في العالم، والتي تبنت جراءه بعض الفلسفات الاهتمام بالجانب الذاتي، دون غيره، خصوصا حينما وقع كثير من المثقفين الغربيين بين مطرقة الماركسية(٣)،

---

(١) رولان بارت، "نقد وحقيقة": ٩١.

(٢) ديفيد ديتش، "مناهج النقد الأدبيّ بين النظرية والتطبيق". ترجمة: د محمد يوسف نجيم، مراجعة: إحسان عباس، (ط٢، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٧م): ٥٠٠.

(٣) توجهت الرؤية الماركسية في تفسير الكون والتاريخ إلى التفسير المادي، فالحياة مادة ولا إله في الوجود، وترى أن البنى التحتية هي التي تحرك البنى الفوقية، والبنى التحتية هي نمط الإنتاج، ونمط الإنتاج =

وسندان الوجودية[١]، حيث توجّه كثير منهم نحو البنيوية حين ظهورها.

تقول الناقدة الأمريكية المعاصرة إديث كريزويل ٢٠١٦م: "إن هذا التوجه قد ترتبت عليه آثار لافتة، منها تحول المثقفين الفرنسيين عن المشكلات والنظريات السياسية التي شغلت الماركسيين والوجوديين إلى حد ما، فقد وجد هؤلاء الذين أسهموا في الجدال البنيوي الوسيلة التي يتخففون بها من راديكاليتهم[٢] دون أن يتخلوا عن إيمانهم بالنزعة الإنسانية"[٣].

٣- تأثير فلسفة فرويد[٤] المتمثل في اكتشاف مفهوم اللاوعي في الإنسان.

٤- التقدم الصناعي والحضاري الذي وصل إليه الإنسان في مختلف العلوم.

٥- نكبة الفلسفات العقلية التي أفرزت ابتلاء البشرية بحربين عالمتين، أكلت الأخضر واليابس، مما حدا ببعض المفكرين ألا يثق في الإنسان، بل يتساءل إذا كان التقدم

يحوي كل ما يتعلق بالإنتاج كالأرض والمال والمصنع والعمال الكادحين، أما البنى الفوقية وهي الدين والأفكار والمعتقدات وما إلى ذلك. انظر: رامان سلدن، " النظرية الأدبية المعاصرة": ص٥٠.

(١) الوجودية فلسفة تقوم على فكرة أن وجود الإنسان مقدم على ماهيته، أي أن ما عليه جوهر الإنسان هو نتاج اختياره أي وجوده وليس العكس، إلى جانب دعوتها إلى الحرية والإنسانية، ومن أبرز فلاسفتها كير جارد وجان بول سارتر. انظر: توماس أر فلين، "الوجودية، مقدمة قصيرة" ترجمة: مروه عبد السلام، مراجعة: محمد فتحي خضر، (ط١, مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, ٢٠١٤م): ص٢١.

(٢) أصل هذه الكلمة في الإنجليزية تعني: متطرف، أو متعصب لحزب أو فكرة معينة. انظر: https://www.dictionary.com/browse/radical

(٣) أديث كريزويل، "عصر البنيوية" ترجمة: جابر عصفور، (ط١، الكويت، دار سعاد الصباح، ١٩٩٤م): ص٦٠ وانظر: وردة قنديل، "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي". ص٧.

(٤) هو الطبيب الفرنسي اليهودي سيغموند فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩م) أول مَنْ اخترع نظرية "عُقْدَة أُودِيب", حيث راح يفسر الحياة ومشاكلها وكافة أمراضها تفسيرات جنسية غريبة، ومن خلالها تطرّق إلى نفي الديانات، وآمن بالإلحاد. انظر: What can we learn from Freud's critique of religion? (A paper presented to the Conference of All Hallows, Gallagher, C. 2011).

الحداثي حقيقة أم وهما.

٦- تأثرها بفلسفة "كانْط" ١٨٠٤م التي لا تؤمن إلا بالظواهر الحسِّيَّة والتي تقوم على الوقائع التجريبية[١].

وهذا هو الأساس الفكري والعَقَدي عند البنيوية، فالبنيوية تؤمن بالظاهرة كبِنية منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها، وتسعى إلى تحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية من أجل فَهمها وإدراكها، فشيوع هذه الفلسفة وتأصُّلها في عقول روَّاد البنيوية يُعد من أهم عوامل نشوء البنيوية في النقد الأدبي، ومما أسهم في انتشار البنيوية تأثر بعض المفكرين العرب بالخطاب البنيوي، لعل من أبرزهم كمال أبو أديب، كما في كتابه جدلية الخفاء والتجلي.

إلى جانب جملة ممن تبنوا الفكر البنيوي مثل خاليدة سعيد، وبدر الدين عردوكي، ومحمد برادة، وسعيد علوش، ويمنى العيد، ونجيب العوفي، وفريال غزول، وسعيد يقطين، وحميد لحميداني[٢].

أ- مصادر البنيوية وروافدها:

هناك عدة موارد ومصادر أسهمت في بناء البنيوية، يمكن أن يذكر أهمها فيما يلي:

أولا: أول مصادر البنيوية وأهمها حركة الشكلانيين الروس، والتي ظهرت في روسيا في أوائل القرن العشرين، وخصوصا بين عامي ١٩١٥ و١٩٣٠م، على يد الأديب الروسي فيكتور شكلوفسكي "viktor Shklovsky" ١٩٨٤م حيث نشر مقالته " الفن كجهاز" Art as Device"[٣].

وقد دعت الشكلانية إلى العناية بقراءة النص الأدبي من الداخل؛ بعد أن كانت الدراسات الأدبية تخوض غمار الأدب وما حول الأدب، مع التركيز على إظهار صلة الأدب بالمؤلف والبيئة، فجاءت الشكلانية وركزت على دراسة الشكل الأدبي ودلالاته، لأن الأدب

---

(١) برتراند رسل، " الفلسفة الغربية" ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م): ٣/ ٣١٥.

(٢) ميجان الرويلي، سعيد البازعي، " دليل الناقد الأدبي" (ط٢, بيروت: المركز القافي العربي، ٢٠٠٠م): ٢٧١.

(٣) انظر: Charles Swann and Raymond Williams, "Literary Theory An Introduction"; p ix

من منظورهم يُعدُّ نظامًا أَلْسُنيًّا ذا وسائط إشارية، أي سيميولوجية[١] للواقع، ولذلك استبعدوا علاقة الأدب بما حوله، كالمناهج التي تبنت هذا الاتجاه، مثل المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي وغيرها[٢].

وعُني الشكلانيون الروس بالخصائص الشكلية، وخاصة الأدوات، كالقافية والإيقاع والجرس والمفردات والبنيات اللغوية[٣].

فكانت حركة الشكلانيين تدعو إلى الاعتناء أكثر بالشكل على حساب المضمون، ولكن البنيوية شبّت عن طوق الشكلانيين في هذه الفكرة، وحاولت دمجَ الشكل في المضمون –كما سيتبين – والدالِّ في المدلول (المعنى)؛ لأن الدالَّ الواحد، لا بد من أن يُنتِج مدلولاتٍ مختلفةً لشخصين، أو متلقِّيَين اثنين، مختلفَين حسب التجارب الفردية، وعليه يصير النص واحدًا والقراءات متعدِّدة

ثانيا: أما المصدر الثاني فهو النقد الجديد New Criticism وقد شاع في الولايات المتحدة الأمريكية، وظهر في منتصف القرن العشرين وخمسينياته في أمريكا وإنجلترا، ويرتكز بالدرجة الأولى على الاهتمام بالعمل الأدبي، بوصفه كيانا مستقلا في ذاته، لا يمت بصلة إلى شيء آخر، ويعتمد المفاهيم اللغوية[٤].

ولذلك يشدد النقد الجديد على القراءة الدقيقة للنص نفسه، حيث ينظر إلى النص كشيء مستقل عن السياق التاريخي.

فهو – كما يقول رامان سلدن– يركز على الوحدة العضوية للنص، والسعي إلى

---

(١) السميولوجيا ويطلق عليه السميوطيقا أو السيموتيكس وهو مشتق من المصطلح الإغريقي σημεΐον وهو – كما تعرفه الموسوعة البريطانية – علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز. انظر: https://www.britannica.com/science/semiotics

وتعد اللسانيات جزءا من السيميائيات التي تدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية بخلاف اللسانيات التي تدرس العلامات اللغوية فقط.

(٢) انظر: لان جفرسون، وديفيد روبي، "النظرية الأدية الحديثة" ص ٣٧ ورامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ٢.

(٣) نفس المرجع: ٤٢.

(٤) انظر: رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ٢٥.

استكشاف الخصوصية الأدبية للنصوص، ويرفض النزعة الروحانية المترهلة للرومانسية، واتخاذ موقف تجريبي وتفصيلي من القراءة(١).

من هنا تبنى هذا المنهج فكرة أن القارئ هو من يفسر النص ويدفعه إلى البحث عن استراتيجيته الخاصة التي قد تختلف عن رؤية المؤلف، ولم يعد اهتمام النقاد هو الوصول إلى معاني أو دلالات أو تفسيرات، وإنما هو إثارة اهتمام القارئ.

ثالثا: المصدر الثالث هو ذيوع صيت علم اللسانيات الحديث، ولا سيما "ألسنية دي سوسير" الذي يُعد رائد الألسنية البنيوية، بسبب محاضراته (دروس في الألسنية العامة) التي نشرها تلامذته عام ١٩١٦م بعد وفاته.

وعلى الرغم من أنه لم يستعمل كلمة (بنية) إلا أن المناهج البنيوية كلها قد خرجت من ألسنيَّته، فيكون هو قد مهَّد لاستقلال النص الأدبي بوصفه نظامًا لغويًّا خاصًّا، وفرَّق بين اللغة والكلام: فـ(اللغة) عنده هي نتاج المجتمع للملكة الكلامية، أما الكلام فهو حدَث فردي متصل بالأداء وبالقدرة الذاتية للمتكلم(٢).

رابعا: أما المصدر الرابع فهو ما يسمَّى" حلقة براغ"، وهي حلقة دراسية مكوَّنة من ثلة من علماء اللغة في براغ، ويعرف أن زعيمها "فيلام ماتياس ١٨٨٢م"، لكن المحرِّكَ الرئيسَ لها هو نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية "رومان جاكبسون١٩٨٢م"، فقد كانت بداياته مع الشكليين، ثم انتقل بعد ذلك عضوا في حلقة براغ اللغوية، ثم انتقل إلى أمريكا، وقد أثر تأثيرا كبيرا في بلورة كثير من الأفكار المرتبطة بالبنيوية(٣).

وقد تنقَّل بين روسيا وبراغ والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، فكان أينما حلَّ بشَّر بآرائه، وكان له دَور فعَّال في نشر الوعي بالنظرية الجديدة وترسيخها في أوساط المثقفين، ومن هنا التقط علماء حلقة براغ مشعل الدراسات اللغوية الحديثة(٤).

---

(١) رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ٢٥.

(٢) انظر: Charles Swann and Raymond Williams. "Literary Theory an Introduction", p 10

(٣) انظر: صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ٨٨.

(٤) انظر: عبد العزيز حمودة، "المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك". (ط١، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٨م) :١٨١ وما بعدها.

ومن أبرز مبادئها أنها تركز على الاهتمام بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة الصوتية والتركيبية والصرفية والدلالية دراسة وظيفية محضة.

المطلب الثاني: اتجاهاتها البنيوية الفكرية ومبادئها

هناك جملة من الاتجاهات الفكرية التي تبنتها البنيوية من أبرزها ما يلي:

أولا: انطلقت البنيوية من فكرة أن البنى المستترة هي التي تحرك الناس دون وعي منهم، ويسمونها التبادل، فهم ليسوا سوى تجليات مختلفة للاشعور البنيوي، فانطلقوا من ميدان اللغة ثم عمموه على بقية الميادين، مثل علاقة القرابة الدموية والأساطير والأديان، والاقتصاد، واللاوعي، وغيره.

فإذا كانت اللغة هي تبادل للكلمات، فالزواج تبادل للنساء، والاقتصاد تبادل للبضائع، وهكذا.. ويظهر هنا بوضوح تأثير المذهب الماركسي عليها.

ثانيا: تتفق البنيوية مع الماركسية حول الفكرة التي تقول: إن حقيقة الإنجازات البشرية مدفونة تحت ستار الأيدولوجيا(١).

وتتفق مع الفرويدية حول الفكرة التي تقول: بأن الإنسان يحركه أحيانا اللاوعي الذي يحتل الجنس مكانة هامة داخله.

ولعل أكبر نجاح حققته البنيوية كان في مجال اللغة لذلك يرددون "كل شيء لغة"(٢).

ثالثا: ترفض البنيوية فكرة أن الانسان يصنع فكره بنفسه، وبمحض إرادته، بل ترى على العكس، وهو أن البشر صنائع لأفكارهم، وأن أفعالهم نتيجة للبنى الكامنة في أفكارهم.

ولذلك ترى البنيوية أن البشر دمى لا أكثر ولا أقل في يد البنى المستترة، فمثلا لو كنت مسلما أو مسيحيا فأنت لا تتكلم عن الإسلام أو المسيحية، وإنما الدين هو الذي

(١) الإيديولوجيا: مأخوذة من الكلمة الإنجليزية: Ideology وهي تعني مجموعة من الأفكار والأهداف التي ينوي تحقيقها من الفرد أو الجماعة على المدى القريب والبعيد. انظر: عد الله العروي، "مفهوم الأيديولوجيا" (ط١, المغرب: بيروت: المركز الثقافي العربي، ودار الفارابي, ١٩٨٠): ص٩ .

(٢) انظر: الهادي التهامي، "المدارس التاريخية الحديثة"، (ط١، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٣م): ١٥٣.

يتكلم من خلالك، فأنت مجرد ذات حمالة للبنية الإسلامية أو المسيحية[١].

لقد سقطت البنيوية في اللا إنسانية، لأن الإنسان أصبح ألعوبة في يد البنى الخفية المستترة، فلم تعد للإنسان قدرة ولا إرادة ولا حرية، بل تحول إلى مجرد ذات مسيرة لا يتكلم ولا يفعل إلا ما تمليه عليه تلك البنى المستترة، فأسقطوا الإنسان في محض الجبرية المقيتة.

وهذه الفكرة تتنافى مع منّ الله تعالى به على الإنسان بأن جعل له مشيئة وإرادة، تحت مشيئة الله تعالى[٢] وهذا ما يتعارض مع رؤية البنيوية التي سلبت الحرية والإرادة عن الإنسان.

رابعا: تقول بموت المؤلف، وهذا يعني إلغاء شخصية الكاتب، لكي يتولّد المعنى بعيدًا عن كل المؤثرات الخارجية.

والسبب في ذلك أن البنيوية قامت على مبدأ أن الأدب نصٌّ ماديٌّ تامٌّ منغلق على نفسه.

من خلال المقال المشهور لرولان بارت الموسوم بـ: "موت المؤلف" يرى أن اللغة هي التي تتحدث في النص وليس المؤلف، وأن الكاتب عند فراغه من الكتابة قد أمضى شهادة وفاته.

بقول بارت: "إنه على الرغم من إمبراطورية المؤلف التي لا تزال عظيمة السطوة، فمن البديهي أن بعض الكتاب، قد حاول منذ أمد بعيد أن يزلزلها"[٣]

وفي نفس السياق، يغري باتباع مبدأ البنيوية بتعدد الألسنيات البنيوية داخل النص، فيقول: إن قارئ النص يلتذ بالقراءة، وفي هذه اللحظة تنقلب الأسطورة التوراتية القديمة، فلا يعود تعدد الألسن عقابا، وتلج الذات المتعة، من باب تساكن لغات تعمل جنبا إلى جنب،

---

(١) انظر: نفس المرجع: ١٥٣ مع العلم بأن إطلاق لفظ النصرانية هو الأولى من إطلاق لفظ المسيحيين، وذلك لأنهم قد بدلوا دين المسيح عليه السلام وغيروه، وقد أطلق عليهم القرآن لفظ النصارى ولم يطلق عليهم لفظ المسيحيين.

(٢) انظر: اللالكائي، "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان، (الرياض: دار طيبة): ٣/٥٣٤.

(٣) رولان بارت، "نقد وحقيقة" ترجمة: منذر عياشي (ط١، باريس: دار النماء الحضاري للطباعة والنشر، ١٩٩٤م): ١٧.

نص اللذة هو بابل سعيدة"[١].

أي أن دراسة الأعمال الأدبية عملية تتمُّ في ذاتها، بغض النظر عن المحيط الذي أنتجت فيه، فالنص الأدبي منغلقٌ في وجه كل التأويلات التي تعطيه أبعادًا اجتماعية أو نفسية أو حتى تاريخية.

وهي تنظر إلى النص من منظور مادِّيٍّ، في كونه قائمًا على اللغة؛ أي: الكلمات والجُمَل.

بالإضافة إلى ذلك، هناك مبدأ مهم، وهو أنها ترى أن اللغة هي التي تتكلم، وليس المؤلف.

ويقولون بموت المؤلف، على أنَّ البعض يعدُّ هذه المقالة من أوائل مراحل ما بعد البنيوية[٢].

ومقصدهم من موت المؤلف هو أن كون نقطة الارتكاز النقدي عندهم هي من النص ذاته، ولا عبرة بالمؤلف، بل العبرة بالنص، ولا شيء غير النص.

ومن هنا نرى أن البنيوية تنقد الكتب المقدسة بحكم أنها لا تعتقد بقدسية المؤلف ولا بوجوده أصلا، لكن المؤسف أن بعض المتأثرين بهذا المناهج طبق هذا المنهج حتى على نصوص القرآن كصاحب كتاب "نقد الخطاب الديني" حيث يزعم أننا "إذا قرأنا نصوص الأحكام في القرآن من خلال التحليل العميق لبنية النصوص وفي السياق الاجتماعي لمنج للأحكام والقوانين ربما قادتنا القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام بوصفها أحكاما تاريخية"[٣].

وفي الحقيقة لن تجدي محاولات تطبيق مثل هذه الأفكار على نصوص القرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه من افتراء العابثين وتحريف المحرفين.

خامسا: ترى البنيوية أن الدال لا يدل على المدلول، فالدال هو الكلمات والعلامات

---

(١) رولان بارت، "لذة النص" ترجمة: فؤاد صفا، والحسين سجاز (ط١، المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٨٨م): ١٩.

(٢) انظر: رولان بارت، "نقد وحقيقة" ص١٥ – ٢٥.

(٣) نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، ص١٠٦.

والرموز، وهو غير مترابط بالمدلول، الذي هو المعنى، وإنما يتم الإفراج عن المعنى من خلال نظام الاختلافات بين وحدات اللغة(١).

ويرى دي سوسير أن اللغة علامات مصطلح عليها لا واعية، بمعنى أنها مستقلة عن إرادة المتكلم، واكتشف كذلك مفهوم النسق، وهو أي إن كل مجموعة من الأصوات لها معنى محدد، والصوت الواحد قد يعبر في لغة أخرى عن معنى آخر، فالمعنى لا يرتبط بالصوت.

ويرى أن اللغة قائمة بذاتها لغويا أو مرجعية ذاتية، بمعنى أن الكلمة ليس شيئا ثابتا، أو حتى فكرة في العقل، بل مجموعة من التناقضات والاختلافات مع المعاني بكلمات أخرى، لأن المعاني بهذا المعنى هي وظائف لمعاني أخرى، فهي ليست حاضرة بالكامل للمتحدث أو المستمع، بل هي مؤجلة إلى مالا نهاية"(٢)

وقد كان سوسير يعبر عن منهجه عبر مجموعة من الثنائيات المتقابلة، التي يمكن عن طريقها وصف الأنظمة اللغوية، وفي مقدمة هذه الثنائيات: ثنائية اللغة والكلام، حيث ميز بين اللغة وبين الكلام الذي يظهر في الممارسات الفعلية التي تبرز في أداء الأفراد وحديثهم، فهو فردي آني مختلف مشتت يقع في الزمن متغير، بينما اللغة نموذج جماعي ذهني لا يبرز على سطح الحياة(٣).

ولتبسط هذا المفهوم، فإن البنيوية تبنت فكرة عدم مدلولية الدال على المدلول، حيث إن البنيوية ترى أن الكلمات ليست رموزا تتجاوب مع ما تشير إليه، بل هي علامات مركبة Signs من طرفين متصلين، كوجهي الورقة الواحدة، والطرف الأول هي إشارة مكتوبة أو منطوقة، وهي تسمى الدال Signifier ، والطرف الثاني هو المدلول أو المفهوم Signified الذي نعقله من هذه الإشارة، لأن اللغة هي كومة من الكلمات التي تتراكم تدريجيا عبر الزمن، لتؤدي وظائف أولية، وهي الإشارة إلى الأشياء في العالم، واللغة نسق من أنساق متعددة للعلامة، والعلم الذي يدرس هذه الأنساق هو علم العلامة، الذي يسمى السيموطيقا أو السميولوجيا(٤).

(١) انظر: رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ٨٨.

(٢) Postmodernism-philosophy. By Brian Duignan. https:\\www.britannica.com\topic.

(٣) انظر: صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ٨٥.

(٤) : رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة"، ص٩٠ وبيتر بروكر، "الحداثة وما بعد الحداثة". ٣١.

وهذه الفكرة في حقيقتها فكرة فوضوية تفضي إلى توقف الألفاظ في الوصول إلى دلالاتها، في جميع المخاطبات، لا سيما الخطاب الديني الذي شرعه الله على ألسنة الرسل بلغات أقوامهم، فإذا لم يدل الدال على المدلول فبأي شيء يؤمر الناس به، وبأي مفهوم يصل إليهم المعنى، فهي فكرة عبثية بكل ما تعنيه الكلمة.

سادسا: لا تعترف البنيوية بالمنهج التاريخي لدراسة البنى الاجتماعية أو البعد التطوُّري للأدب، إذ يَرَوْن بأنه نظام من الرموز والدلالات التي تولَد في النص وتعيش فيه، ولا صلة لها بخارجه، لهذا يعدُّون أية دراسة ذات منظور تطوري أو تعاقبي معوِّقةً لجهود الناقد الراغب في اكتشاف الأبنية التي ينطوي عليها العمل الأدبي(١).

وعندما يقوم البنيويون بعزل النسق لدراسته، فإنهم يقومون بإلغاء التاريخ، فلا يهتمون بتلك المنظومات المساوقة، ولا بلحظة إنتاج النص ولا استقباله(٢).

ولذلك لم يعد النقد مجالا لبروز نظريات أو أفكار مرتبطة بجوانب سياسية، أو دينية، أو اجتماعية، أو تاريخية، لأن اهتمام النقد البنيوي بالعمل الإبداعي من حيث بنايته اللغوية، بينما الأديب هو من يتبنى أفكارا وآراء وأيدولوجيات بخلاف الناقد البنيوي(٣).

ويرى البنيويون أن النموذج اللغوي يمكن أن يكون أكثر عونا وأشد خصوبة من المنهج التاريخي، ويرون أن المنهج التاريخي لم يعد له ما يبرره، ولم تعد هناك ضرورة لاستمرار الاستغراق فيه، وتزعّم هذه الأفكار ليفي شتراوس ٢٠٠٩م، فالأدب لا يتكون من أفكار ولا مشاعر ولا آراء، وإنما هو جسد لغوي ممثل للنص الأدبي، في تحليل يبدأ من اللغة، لا فيما وراء اللغة، كالميتافيزيقيا، أو أشياء أخرى(٤).

هذه أبرز الاتجاهات الفكرية للبنيوية، ولكن في الحقيقة لم تدم البنيوية طويلا، فقد بدأت بالتراجع منذ السبعينات من القرن العشرين، مما جعل البنيويين يعيدون النظر في

---

(١) كيزويل، إيديت، "عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو": ٩٠ وما بعدها.

(٢) : رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ١٠٨.

(٣) انظر: صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ٩٣.

(٤) نفس المرجع: ٩٠.

مواقفهم ومنهجهم الذي خرجت من رحمه مناهج نقدية عديدة، كالأسلوبية، والسيميائية[١]، والتفكيكية، بالإضافة إلى الألسنية، التي هي عماد هذه المناهج النقدية جميعًا، وظهر مكانها في فرنسا ما اصطلح على تسميته "ما بعد البنيوية" وكان رولان بارت وجاك دريدا أهم فلاسفتها.

واصطلح على تسمية منهجهم بالتفكيكية وهو ما سوف نسلط الضوء عليها في المبحث التالي.

ومما يدل على عدم جدوى هذا المنهج، وعلى ضرورة التخلص منه، أن بعض رواد هذا المنهج قد تخلوا عنه[٢] كما أن كثيرا من المفكرين والفلاسفة لم يتقبلوا البنيوية — على الرغم من انتشارها السريع — بل وصفوها بالمنهج اللا إنساني، ومن أبرز من واجهها ونقد روادها، وأسهم في تقويضها، الفيلسوف الفرنسي المعاصر، ووزير التعليم السابق لفرنسا عام ٢٠٠٤م "لوك فيري".

يقول إيديت كيزويل في كتابه" عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو": لقد انتهى عصر البنيوية في باريس تقريبا، ولكن الفرضيات البنيوية لا زالت تتخلل الفكر الفرنسي، وتسهم في صياغة ما بعد البنيوية... والكثير من مفكرينا تجاهل البنيوية لأنها هامشية مبهمة عديمة الجدوى"[٣].

وأكثر ما عيب على البنيوية رفضها الأحكام التي تنتج عن السياقات الخارجية، وإنما تبني حكمها من خلال ذاتها، أي أنها تعتمد في الحكم على النص من خلال النص ذاته.

---

(١) الأسلوبية: تهتم بدراسة النص الأدبي، حيث تدرس خصائص الأسلوب، وتهتم بالأديب وقدرة الأديب على استعمال اللغة في التعبير عما يريده للمتلقي، وهي تتصل بمباحث البلاغة من حيث اهتمامها بالصور الشعرية، والمجازات، والإيقاع، وما فيه من محسنات بديعية.

بينما السيميائية علم العلامات وهو علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، وتعد اللسانيات جزءا من السيميائيات التي تدرس العلامات، أو الدلالات اللغوية وغير اللغوية.

انظر: رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة":٩٠ الهامش وانظر: صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ١٠٩ و: ١٢١ وما بعدهما.

(٢) انظر: ليونارد جاكسون، "بؤس البنيوية". ترجمة: ثائر ديب، (ط١، دمشق: دار الفرقد، ٢٠٠٨م): ١٦٦.

(٣) انظر: كيزويل، إيديت، "عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو": ١٨.

فتبين من هذا أن البنيوية منهج يستخرج البنى من الأشياء، ويرتكز على توصيف الحالة الراهنة، لذلك اتسعت دائرته لتشمل مناحي الحياة، وليس مقتصرا على الأدب فقط، وفيما يخص الأدب، فأبرز رواده العالم السيويسري فردناند سوسير وغيره، ممن تولوا تقعيد البنيوية وتقريرها، مثل جوروج ديميزيل في علم الأديان، والتوسير في الماركسية، وراد كليف براون في علم الاجتماع.

ومن أبرز أسباب نشأة البنيوية أنها ظهرت كردٍّ فعلٍ ضدَّ اللاعقلانية الرومانسية، إلى جانب الأزمة التي كانت تعاني منها العلوم الإنسانية والارتباك الذي انتاب منظومة القيم التي كانت سائدة، مع تأثير فلسفة فرويد المتمثل في اللاشعور، إلى جانب التقدم الصناعي والحضاري الذي وصل إليه الإنسان في مختلف العلوم.

أما مصادر البنيوية فمن أبرز مصادرها حركة الشكلانيين الروس، وحركة النقد الجديد والتي تسمى "حلقة براغ".

وأما أبرز اتجاهاتها الفكرية فمن أبرزها أن البنيوية انطلقت من فكرة أن البنى المستترة هي التي تحرك الناس دون وعي منهم ويسمونها التبادل، فهم ليسوا سوى تجليات مختلفة للاشعور البنيوي، فانطلقوا من ميدان اللغة، ثم عمموه على بقية الميادين، وتتفق البنيوية مع الماركسية حول الفكرة التي تقول: إن حقيقة الإنجازات البشرية مدفونة تحت ستار الأيدولوجيا.

وتتفق مع الفرويدية حول الفكرة التي تقول: بأن الإنسان يحركه أحيانا اللاوعي، الذي يحتل الجنس مكانة مهمة داخله، كما ترفض البنيوية فكرة أن الانسان يصنع فكره بنفسه وبمحض إرادته.

المبحث الثاني: المنهج التفكيكي

المطلب الأول: تعريف التفكيكية ونشأتها

مثّلت مرحلة النقد الحداثي كالبنيوية وجها من وجوه النقد الحديث، ولكن مرحلة الحداثة البنيوية انتهت في الغرب منذ منتصف القرن العشرين أو بعده بعقد أو عقدين.

ومنذ ظهور مرحلة ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية ظهرت تيارات واتجاهات نقدية جديدة، من أبرزها التفكيكية، وفيما يلي سيتم تسليط الضوء على هذا المنهج النقدي على

النحو الآتي:

أ- **تعريفها**: مصطلح التفكيك[1] ينتمي إلى مصطلحات ما بعد الحداثة[2]، وكما هو السائد في مصطلحات ما بعد الحداثة، يصعب الإحكام بزمام تعريف جامع لها، وذلك لانتمائها إلى اتجاهات فلسفية ونقدية، ترفض التعريف والتحديد والثبات.

يقول جاك دريدا: "إن صعوبة تحديد مفردة التفكيك وبالتالي، ترجمتها، إنما تنبع من كون جميع المحمولات، وجميع المفهومات التحديدية وجميع الدلالات المعجمية، وحتى التمفصلات النحوية التي تبدو في لحظة معينة، وهي تمنح نفسها لهذا التحديد وهذه الترجمة، خاضعة هي الأخرى للتفكيك وقابلة له، مباشرة أو مداورة، إلخ ... وهذا يصح على كلمة التفكيك وعلى وحدتها، مثلما على كل كلمة ..."[3].

فصعوبة تعريفها ينبع حسب رأي دريدا من كون كل الدلات المعجمية والنحوية واللغوية والتحديدات والمفاهيم قابلة للتفكيك والتشكيك. ولنا أن نتساءل: فما فائدة تعريفها إذن!

ومنشأ ذلك، أنها تؤمن بمبدأ العدمية والتخريب والهدم والتشريح حتى كأن التاريخ "قد أضاع الاتجاه وارتد إلى الفوضى والتشوش"[4].

وفي رأيي المتواضع أن صعوبة تعريفها ليس نابعا من عمق دلالتها، وإنما هو نابع من إرادة تهويلها من قبل التفكيكيين، وهذا التهويل يعطي انطباعا بمدى ضخامتها وعمقها في

---

(١) وقد اختُلف في ترجمة مصطلح التفكيكية إلى العربية فترجم بالتفكيك والتقويض وترجمها بعضهم إلى التشريح والأول هو الأكثر انتشارات وأقربها، والأخير أبعدها عن الدقة حسب رأي بعض الباحثين. انظر: وليد قصاب، "مناهج النقد الأدبي، رؤية إسلامية": ١٨٣.

(٢) الحداثة هي الفترة التي مرت بها أوربا في عصورها المتأخرة، وهي ترى نبذ القديم وهدم المباني اللاهوتية، والقيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب والحياة عموما، والتحرر منها، انظر: بيتر بروكر، "الحداثة وما بعد الحداثة" ترجمة: عبد الوهاب علوب، (ط١، أبو ضبي، منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٥م): ص٩.

(٣) جاك دريدا، " الكتابة والاختلاف":٦٢.

(٤) تيري ايغلتون، "نظرية الادب"، ترجمة: ثائر ديب، (الجمهورية العربية السورية. دمشق: منشورات وزارة الثقافة): ٢٤٠.

نظرهم.

ولذلك يرى بعض الباحثين أن سبب ذلك هو أن التفكيكية تتلاعب باللغة والمفاهيم، فحتى أكثر التعريفات قربا منها وعقلانية لها، سوف تستدعي دوما تلاعبًا تعريفيّا إضافيا باللغة(١). بحيث لا يمكن أن يكون هناك معنى ثابت ومستقر.

أما الذين عرّفوا التفكيك، فعرفوه بأنه إعادة قراءة للنص بحسب عناصره، وذلك بعد هدمه وتشرّحه، سعيا إلى اكتشاف الجوانب الدلالية الغامضة فيه.

بل يرى بعض النقاد أن التفكيكية طريقة لقراءة، أو إعادة قراءة الفلسفة وخطابات العلوم الإنسانية(٢).

وهذا في نظري تحسين للنقد التفكيكي الذي لا يرنو في حقيقته إلى الوصول إلى الدلالات الغامضة فيه، بسبب تعدد القراءات، واختلاف القارئين، فمادام أن المعنى في اختلافٍ ومعان مرجأة diffcring فلا تهدف التفكيكة إلى الوصول إليه. - وسيأتي بيان معاني الاختلاف والإرجاء-.

ميشال فوكو -أحد أبرز وجوه التفكيكية- يوجز منظور التفكيكية في نظرتها إلى النص: بأنها تنظر إلى أن المعرفة تُبنى في مواقف تاريخية ملموسة في شكل خطاب، ولا يتم توصيل المعرفة عن طريق الخطاب، بل هي عبارة عن خطاب بحد ذاته، ولا يمكن مواجهتها إلا من خلال النص(٣).

إذن فالتفكيكية تعمل في النص من الداخل، وهذا العمل يمكن أن يقال عنه: إنه استراتيجية في القراءة تسعى إلى تحرير النص المفتوح من قيد القراءة الأحادية المغلقة، وفتح المجال للقراءات المتعددة اللانهائية، من خلال التموضع داخل الخطابات الفلسفية والنقدية والأدبية، وتقويضها من داخلها، من خلال توجيه الأسئلة وطرحها عليها من الداخل(٤).

---

(١) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٧٤.

(٢) انظر: سمير حجازي، "المدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق". (ط١، دمشق: دار التوفيق للطباع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م): ٤٨.

(٣) Internet Encyclopedia of Philosophy. A Peer-Reviewed Academic Resource. httbs; iep.utm.edu. literary

(٤) سامية راجح، "التنقيب عن الأصول الفلسفية واللسانية للنقد التفكيكي"، *مجلة المعرفة السورية*، العدد،٥٥٨، ١مارس، (٢٠١٠م): ٨٤.

ب- نشأتها:

يجمع جمهور الباحثين على أن البيان التفكيكي الأول، أو بالأحرى جذر التفكيكية في النقد المعاصر يرجع إلى أكتوبر ١٩٦٦م، وذلك حين ألقى الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا ٢٠٠٣م بحثا في مؤتمر عُقد في جامعة جون هوبكنز، تحت عنوان: "البنية والعلامة أو الدليل واللعب في خطاب العلوم الإنسانية" ثم ضمّنها بعد ذلك في كتابه: "الكتابة والاختلاف"، وقد وضع فيها ديريدا المسلمات الميتافيزيقية الأساسية للفلسفة الأوربية منذ أفلاطون موضع الشك(١).

وقد ظهر في نفس الفترة كتاب الناقدة الأمريكية سوزان سونتاج ٢٠٠٤م "ضد التفسير" مما يدل على أن التفكيك قد بدأ يتحول إلى ظاهرة عامة في الفكر الفلسفي الغربي.

وقد بلغت التفكيكية ذروتها وامتدادها في الثمانينات، وهي تمثل امتدادا للبنيوية وخروجا عليها في الوقت نفسه، حيث انبثق من داخل البنيوية كنقد لها، وانصب على مشكلات المعنى وتناقضاته، ليزعزع فكرة البنية الثابتة(٢).

فهي وإن كانت قد انبثقت من شرر البنيوية، إلا أنها خرجت على أسسها، فمن الواضح أن التفكيكية لا تتفق مع دعاوى البنيوية العلمية، بل تضادها في كثير من الأحيان، فبينما تسعى البنيوية إلى فرض العلامات في العلاقة بين الدال والمدلول، نرى التفكيكية لا تؤمن بتلك العلامات، بل تسخر منها.

وإذا رأينا البنيوية تؤمن بوجود مدلول يمكن الوصول إليه، بغض النظر عن طرقه وطرائقه، نرى البنيوية تستغرق في الاستهزاء بهذا الهدف، وتحكم قبضة الإساءة والمجاز اللغوي - وسيأتي تعريف هذه المصطلحات التفكيكية-.

وأقرب ما يصور هذا المشهد: هو أن التفكيكيين بنيويون في الأصل، ولكنهم شبوا عن نطاق البنيوية، واكتشفوا خطأها في بعض أسسها، فأحدث لهم هذا الاكتشاف صدمة،

---

(١) انظر: رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ١٣٥.

(٢) انظر: صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ١٣٣ وليد قصاب، "مناهج النقد الأدبي، رؤية إسلامية": ١٨٣.

ما لبثوا بعدها أن تندّروا على تلك الأخطاء وسلكوا سبيل السخرية منها.

وكان من أبرز أسباب نشأتها ما يلي:

١- أن الأجيال الجديدة من النقاد تلقّت تلك المفاهيم التفكيكية بعين الرضا "حيث تتمتع جاذبية كبرى لدى الجيل الذي تَربَّى في الديمقراطيات الغربية؛ إذ تمتع أبناء هذا الجيل بتحرر نسبي من النظام اللاهوتي"(١)

٢- من أبرز أسباب ظهوره أيضا هو تلك الحروب العالمية الكبرى، الأولى عام ١٩١٤م والثانية ١٤٣٩م وأزمة الاقتصاد العالمي في أواخر العشرينات من القرن المنصرم، حيث قلّصت المنهجيات التاريخية وغيرها، وظهرت مقولات، مثل، اللا تواصل، والانقطاع، وأنه هو العماد الرئيسي للتاريخ، وتبناها بعض الفلاسفة، أمثال ميشيل فوكو١٩٨٤م وغيره(٢).

٣- مضادة البنيوية وتهميش نظرياتها، فظهور التفكيكية كان على يد الفرنسي جاك دريدا، ثم سانده كثير من المثقفين، كرد فعل على البنيوية.

وقد انتشرت أفكار ديريدا في الأكاديميات الغربية، وظهر له ممثلون من أمثال: الناقد الألماني جفري هارتمان ٢٠١٦م، والناقد البلجيكي بول دي١٩٨٣م، الذي كان له من الكتب " العمى والبصيرة" و "أمثولات القراءة" إلى جانب الفرنسي رولان بارت١٩٨٠م، والناقد الأمريكي هيليز ميلر٢٠٢١م(٣).

٤- ومما أسهم في انتشاره، أن هذا التيار وجد أنصارا مخلصين له، من مختلف النقاد الذين يمكنني أن أطلق عليهم "فلاسفة اليأس".

---

(١) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٢٠.

(٢) انظر: الهادي التهامي، "المدارس التاريخية الحديثة": ٦.

ومیشیل فوكو أحد أبرز منظري التفكيكية وهو أستاذ التاريخ بكلية دي فرانس حصل على شهادة الفلسفة من جامعة السوربون وعلى دبلوم الأمراض النفسية توفي عام ١٩٨٤م. انظر: كيزويل، إيديت، "عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو "ترجمة: جابر عصفور، (ط١، الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م):٢٨٩.

(٣) Christopher Norris:" Deconstruction: Theory and Practice", Routledge, London-New York. 1999.p2,

فمنذ أن ألقى دريدا خطابه الشهير، أخذ الكثير من أقسام العلوم الإنسانية في الجامعات الأمريكية بنظرية التفكيك، إلى جانب تقارب بعض التيارات والنظريات الأخرى من نظرية التفكيك، وكما يقول – رامان سلدس – "وجدت أنها مضطرة إلى إعادة تقييم جذري لنفسها، وكمثال على ذلك: هناك عملية تقريب لافتة للنظر بين فلسفة التفكيك والماركسية الحديثة، قام بها الناقد الماركسي ميشيل رايان Michael Rayan في كتابه الماركسية والتفكيك عام ١٩٨٢م، وأوضح فيه أن كلا المنهجين قد شجع التعددية، بدلا من الوحدة التسلطية، والنقد بدلا من الطاعة، والاختلاف بدلا من الاتحاد، والنزوع إلى التشكيك"(١).

وهذا التقريب لا يمكن الوثوق به – في نظري – لاختلاف الأسس التي بُني عليها كلا من المنهجين، وفي الحقيقة لا أدري ما هو سر محاولة التقريب بين الماركسية وغيرها من المناهج والتصاقهم بالتفكيكية، هل لأن التفكيكية آخر مطاف تقاذفت فيه الحيرة التي بنيت عليها تلك المناهج؟ أم لأن التفكيكية هيمنت على المفاهيم الأوربية، وأزاحت الماركسية وغيرها عن عروش سلطانها بكل قسوة؟ ربما.

ولم يكن هذا فحسب، بل هيمنت التفكيكية حتى على النقاد الأمريكيين، فاضمحلت المناهج النقدية الأخرى شيئا فشيئا التي كانت تهيمن عليهم، كالرومانسية مثلا، أو الماركسية، أو البنيوية، ولذلك يقول رامان سلدس: "ما يثير الدهشة هو أن دريدا قد هيمن على أفكار العديد من أقوى النقاد في إمريكا"(٢).

وكما كان للتفكيكية أعوان وأخدان في الفكر الأوربي الحديث، كان لها في الفكر العربي صولة وجولة – وقس ذلك على معظم الحضارات – حيث أصبح يعرف في الفكر الفلسفي والأدبي تنشيطا لحركة النقد الحديث في وجه اليقينيات الموروثة.

ومن أولئك على سبيل المثال: إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"، وعبد الكبير الخطيبي في كتابه "النقد المزدوج"، وكتابه "في الكتابة والتجربة"، ومحمد أركون، في كثير من كتبه، ومن أبرزها كتابه "الفكر الإسلامي: قراءة علمية"، وفتحي التريكي في كتابه "قراءات

(١) انظر: رامان سلدن،"النظرية الأدبية المعاصرة":١٤١.

(٢) رامان سلدن،"النظرية الأدبية المعاصرة":١٤١.

في فلسفة التنوع" وعلي حرب في كتابه "نقد النص" وكتابه "هكذا أقرأ ما بعد التفكيك".

فمثلا نرى علي حرب حينما يقول في كتابه نقد النص: "فأنا تفكيكي في تعاملي مع خطاب العقل ومطلقاته، بمعنى أني أخضع العقل بما هو ذات متعالية تتصف بالقدرة على الربط والتأليف"(١) ومن خلال منهجه التفكيكي توصل إلى فكرة أنه لا فرق بين النصوص الأدبية والنصوص النبوية في النقد(٢).

ومثله كذلك محمد أركون حيث يقول: "آن الأوان للانخراط في أكبر عملية تفكيك في تاريخنا الفكري والثقافي، ويقصد بعملية التفكيك أن كل الموروث الديني والعقائدي لمختلف المذاهب والطوائف ينبغي أن يتعرض لأكبر عملية غربلة"(٣).

فتبين من هذا أن تعريف التفكيكية منهج في قراءة النصوص، قراءة مزدوجة، تسعى إلى دراسة النص دراسة تقليدية، أولا لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من معان في قراءة معاكسة، تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به، أي أنها تهدف إلى إيجاد شرخ بين ما يصرح به النص وما يخفيه.

ويعني هذا أن التفكيكية ترى أن النص ليس له تحديد في المعنى، بل هو مفتوح لكل القراءات، وهي قراءات متعددة لا نهائية –ومقصدهم من القراءات هو التفسيرات التأويلية للنص– وهذه التعدديات تقوض معنى النص من الداخل، ولا تهتم بقصدية المؤلف إطلاقا، بل تفترض موت المؤلف، وبهذا ترى عدم الوصول إلى أي تحديد للمعنى حتى في الغيبيات أو الميتافيزيقيا.

المطلب الثاني: الاتجاهات الفكرية للتفكيكية ومبادئها ونقدها

هناك جملة من الاتجاهات الفكرية للتفكيكية، من أبرزها ما يلي:

أولا: سيادة روح الشك وانعدام الثوابت والحقائق اليقينية، وانفتاح الباب على مصراعيه أمام التجريب الدائم، والقفز المستمر من غير ضوابط ولا معايير.

(١) علي حرب، "نقد النص، المركز الثقافي العربي". (ط٤، الدار البيضاء، المغرب: ٢٠٠٥م): ٩.

(٢) نفس المرجع: ١١.

(٣) الغرب، محمد أركون، "الإسلام، أوربا، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة" ترجمة: هاشم صالح، (ط٢، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠١م): ٢٠٠.

إنها منهج نقدي خطير قامت على التشكيك وزعزعة اليقين، مما أضحى سمة بارزة على هذا المنهج المتقلب المزاج.

إنها – في الواقع– طوفان أعمى في ليل حالك يعصف بكل ما يقابله.

ويرى بعض النقاد أن معتنقي المنهج التفكيكي عاجزين عن اتباع أي التزامات، سياسية، أو أخلاقية، أو اجتماعية(١).

ثانيا: تقوم التفكيكية على التشكيك في كل الغيبيات، فلم يقتصر تشكيكها في النص، بل حتى في الاعتقادات الغيبية، وكل الما ورائيات.

بل حتى إنها تشكك في اللغة التي نقلت الأخبار، وفي قدرتها على نقل الواقع والأفكار، نقلا موضوعيا كما هو.

وقد بلغ حال التشكيك –كما يقول بعض النقاد– أن أصبح استخدامك لكلمات مثل حقيقة أو يقين أو واقعي في بعض الأنحاء سببا لاتهامك فورا بأنك ميتافيزيقي(٢).

فيصرح دريدا بكل وضوح، بأنه يريد أن يهدم كل المغيبات، وأن يوجه لها الضربات تلو الضربات فيقول: " نسلك معها سلوكا إستراتيجيا يقوم على التموضع داخل الظاهرة، وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل. أي: أن نقطع شوطا مع الميتافيزيقا، وأن نطرح عليها أسئلة تظهر أمامها من تلقاء نفسها عجزها عن الإجابة، وتفصح عن تناقضها الجوانيّ.

إن الميتافيزيقا، كما عبرت عنه في موضع آخر، ليست أمرا واضحا، ولا دائرة محددة المعالم والمحيط، يمكن أن نخرج منها، ونوجه لها ضربات من هذا الخارج، ليس هناك من جهة ثانية في الخارج نهائي أو مطلق"(٣).

وهذا يعني أنه لا شيء مقدس في التفكيكية، بل لا تؤمن بكل الغيبيات، وأولها وجود الله تعالى، ولهذا راح ينادي بوجوب التخلي عن المفهوم اللاهوتي للإله المتعالي تمامًا أو الجوهري.

ولذلك يرى دريدا أن الدين "لا يخضع لوحي تاريخي، ويتوافق ذلك مع عقلانية العقل

(١) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٣٢.

(٢) تيري ايغلتون، "نظرية الأدب": ٢٤٦.

(٣) جاك دريدا، "الكتابة والاختلاف":٤٧.

العملي الخالص، فإنه يفضل الإرادة الخيرة ويشجعها فيما وراء المعرفة"(١).

لقد كان النقد لدى دريدا رائد التفكيكية يقوم بالدرجة الأولى بمفهومه العام، قبل أن يكون مرتبطا بالنقد الأدبي على وجه الخصوص، فقراءاته للنصوص المختلفة ونصوصه التي وضعها تشكل كلها استكشافات لمركزية الكلمة، وأن الميتافيزيقيا الوحيدة التي نعرفها تكمن خلف تفكيرنا(٢).

فلا قداسة لشيء في التفكيكية مهما كان مصدره، بل إن جميع المرجعيات قد ماتت، مات المؤلف، ومات الإنسان، وماتت اللغة، وماتت الأفكار، بل زعموا موت الله –تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا–.

فهو وليد فكر شاذ هجين، ولا أظن أن النقد الغربي عرف خلال مسيرته اتجاها أخطر من التفكيك، على العقل، واللغة، والفكر عامة، ولا أشد تهافتا وسقوطا من الآراء التي حملها هؤلاء الشاكون الذين لا يؤمنون بشيء.

بل يمكنني القول: إنها سفسطائية(٣) جديدة لا تفرق كثيرا عن سفسطائية بروتوغوراس وجورجياس(٤).

---

(١) جاك دريدا وجياني فاتيمو، "الدين في عالمنا" ترجمة: محمد الهلالي وحسن العمراني، (ط١، المغرب: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٤م):١٨.

(٢) انظر: صلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ١٣٥.

(٣) السفسطة: فلسفة يونانية ظهرت قبل القرن السادس قبل الميلاد كا من أبرز أفكارها أنه لا وجود إلا للمحسوسات، وهي في تغير وحركة مستمرة، فالوصول إلى أي حقيقة متعذر ومستحيل، وأنه مادامت الحقيقة الموضوعية الثابتة غير متحققة في هذا الكون، فالحق بالنسبة لكل إنسان هو ما يبدو له، فالحقيقة تتعدد بتعدد الأفراد انظر: زكي نجيب محمود، "الفلسفة اليونانية": ص٩٣-٩٤. وجميل صليبيا، "المعجم الفلسفي" (بيروت، دار الكتاب اللبناني , ١٩٨٢م):٦٥٨/١ وانظر: Geore Norlin, "Isocrates with an English Translation" (Harvard University Press,1980) ; p.67

(٤) بروتوغوراس: ٤٩٠ – ٤٢١ ق م يعد من أوائل المدرسة السفسطائية، وقد اشتهر بنظريته النسبية، والتي تعدّ الإنسان مقياس كل شيء ويرى نسبية معرفة القيم الأخلاقية، فالقيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية متغيرة بتغير الزمان والمكان.

=

ثالثا: التشكيك في اللغة: فلا تؤمن بمصداقية اللغة، ولا بانطباقها على المعاني.

ولا شك أن الناس إنما يتفاهمون باللغة، فإذا انطبقت عليها دوافع الشك، وعدم الموضوعية، فبأي شيء يتفاهمون به؟

فبما أنها أفقدت الثقة بالنص، وبالقراءة والموضوعية، أنتجت لانهاية للقراءات التي لا يوثق بها للنصوص جميعا، مقدسة وغير مقدسة، دينية وبشرية، وقد طبقت هذا أيضا على نصوص الكتب المقدسة، من التوراة والإنجيل والقرآن، والنظر إليها جميعا على أنها مجرد نصوص لغوية خاضعة للترشيح والنقض وإعادة البناء، على مزاج القارئ المؤوّل، الذي أُعطي السلطان المطلق، وأصبح سيد الموقف نفسه، لا سيادة عليه من نص، أو مؤلف، أو مجتمع، أو غير ذلك(١).

وهذا هو المشهور، بل المجمع عليه لدى التفكيكيين، إلا أننا نجد أن بعض أتباع المنهج التفكيكي يصول بكل ما أوتي من قوة في سبيل إزالة وصمة هذه العدمية عن المنهج التفكيكي.

فمثلا نجد عالم العقيدة والفيلسوف الأمريكي المعاصر جون كابوتو Caputo John في كتابه التصوف والخطيئة Mysticism and Transgression يرى أن دريدا لم يكن يدعو إلى إنكار مرجعية لفهم النصوص، بل يدعي أن النصوص أصبحت ملوثة بالحالات اللغوية التي نتجت عن تلاعب النص"(٢).

ولا نقدّر مقدار هذا التلوث الذي يدعيه جون كابوتو في نظرية دريدا، ولكن لا ريب أن أقل ما يقال عن هذا الرأي، محاولة لا تسمن ولا تغني من جوع، في ظل نظرية دريدا العدمية لفهم النصوص.

جورجياس: ٤٨٥ – ٤٨٠ ق م تتلخص فلسفته حول ثلاث قضايا رئيسة سالبة، وهي: أنه لا يوجد شيء وإذا وجد شيء فلا يمكن معرفته أو إدراكه وإذا أمكن معرفته وإدراكه فلا يمكن نقله للغير.
انظر: J. A. Davison,"Protagoras, Democritus, and Anaxagoras," Classical Quarterly pp. 33-45. وانظر: برتراند رسل، " الفلسفة الغربية": ١٤٤.

(١) انظر: وليد قصاب، "مناهج النقد الأدبي، رؤية إسلامية": ٢٠٨.

(٢) انظر: John Caputo, Mysticism and Transgression, Derrida and Meister Eckhart, New York, Routledge,1989. p.29

ويجب التنبيه على أن التفكيكية أثرت في العلم الإنساني بوجه عام، وخاصة في الفكر والثقافة والأدب، لتبرهن على طبيعة التناقض المعرفي بين النص والأساسات الضرورية التي تحدث في القراءة وذلك في مختلف الثقافات ومنها الثقافة العربية عند بعض من تأثر بهذا الفكر..

رابعا: تحكم التفكيكية على كتب التاريخ بالفشل، فالتاريخ ليس سوى سرد آخر، لا تتميز تراكيبه النموذجية عن التراكيب الأسطورية.

أما مصادر التاريخ – مهما بدت حيادية، أو قائمة على أدلة لديهم – فليست في النهاية في نظرهم سوى سلسلة أخرى مترابطة من النصوص القابلة للتفسير، بعدة طرق، وحتى تفسيراته السببية، في وسعنا إثبات كونها مستقاة من حبكات خيالية معروفة، تكررها تلك التفسيرات بالتبعية.

ويرى المنهج التفكيكي أن الادعاءات التاريخية هي روايات شفهية، تضم محتويات مختلقة بقدر ما هي مكتشفة[١] وأن الشعوب المهمّشة هي ضحية التاريخ.

فمثلا، جاك دريدا عرّاب المنهج التفكيكي، يرفض التاريخ الكلاسيكي القائم على الصوت الواحد المهيمن، ويدعو إلى تاريخانية جديدة متعددة الأصوات، تهتم بالشعوب التي تعيش على الهامش، وتهتم كذلك بالثقافات المقصيّة.

وفي هذا السياق، يقول دريدا: "أما عن نسيان التاريخ، فقد أوضحت مرارا وتكرارا أنني تاريخاني بصورة كاملة، وأن ما يهمني دائما هو الانحدار التاريخي لجميع المفهومات التي نستخدمها، وجميع حركاتنا، وأنه إذا كان هناك شيء لا يمكن نسيانه فهو التاريخ"[٢]

وبهذا، يرفض ديريدا التاريخ المبني على التمركز العقلي، وهيمنة الصوت الواحد، وتسييد العرق الواحد، ومن هنا، فالمرأة المثقفة المعاصرة – مثلا– ترفض التاريخ؛ لأن ذلك التاريخ قد سطره الرجل، كما يرفض الرجل الأسود تاريخه؛ لأنه من صنع الرجل الأبيض.

خامسا: التفكيكية ترى في النص توترا وتناقضا وعدم انسجام، وتعمل على هدم الإجماع على سلطة النصوص وزعزعة الثقة فيها، وفتح المجال أمام تعدد المعاني فيها، فتصبح

(١) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٣٧.

(٢) ، جاك دريدا، "الكتابة والاختلاف":٥٢.

النصوص ساحات تباينات لا اتفاقات، وساحة تفجير للمعاني لا تحديد لها –كما سبق بيانه–.

سادسا: التفكيكية ثورة كاسحة على جميع المفاهيم القديمة التي أنتجها الغرب. وتقويض لكل القيم التي كانت تعتبر مركزيتها. كالعقلانية. والإنسانية. والأخلاقية، وأنها مفاهيم ولدت في سياق وخطاب معينين، ثم أفلتت من هذا السياق لتصبغ على نفسها صفة الاطلاق.

فمن ناحية الأخلاق. يرى الفيلسوف الأمريكي المعاصر، جون كابوتو، أن فلسفة دريدا من الناحية الأخلاقية" فوضى مسؤولة" وأنها نقد للمتافيزيقيا القديمة، وأنها تقضّ مضاجع الميتافيزيقيين، وأنه يترك العقلانيين والتجريبيين ينفجرون من الغضب، أو يرتجفون من الخوف"[(١)].

سابعا: يرى أتباع المدرسة التفكيكية أن علاقة اللغة بالواقع هي علاقة مجهولة، ولا يُعتمد عليه، بما أن جميع الأنظمة اللغوية ليست إلا بُنى ثقافية، لا يعول عليها بطبيعتها[(٢)]

ثامنا: النسبية: حيث يعتمد النقاش المحوري في التفكيكية على مبدأ النسبية؛ أي الرأي القائل بأن الحقيقة تبنى على الدوام حسب وجهات النظر المختلفة، والنظم الفكرية للشخص الذي يبدي رأيه.

ومن ثمَّ ، أصبحت جميع النصوص الآن حرة في الغوص –بصحبة معانيها العامة أو الأدبية أو اللغوية– في بحر التناص[(٣)]؛ وأصبح يُنظر إلى السعي من أجل إيجاد التأكيدات اللفظية على أنه تصرف رجعي في مضامينه[(٤)].

وهكذا تحرر النص من كل السلطات عند التفكيكيين، ذلك النص الذي تكوّن في الحقيقة على يد القارئ، وطبقت عليه قواعد الديمقراطية، كي يلهو به الخيال كما يشاء.

وأصبحت المعاني ملكية خاصة لمن يفسرها، له مطلق الحرية في التلاعب بها تلاعبًا

---

(١) انظر: John Caputo, "Beyond Aeyond Aestheticism, Research in phenomenology" 18,1988, p60

(٢) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٢٢.

(٣) التناص: مصطلح أدبي، مترجم من الإنجليزية دخيل على اللغة العربية بهذا المصطلح، ويعنون به دخول نص على آخر. انظر: سعيد علوش "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" (بيروت: دار الكتاب اللبناني, ١٩٨٥م): ص٢١٥.

(٤) نفس المرجع: ٢٢.

تفكيكيا؛ حيث يُعتقد عندهم أن أي محاولة تحديد معنى نص لأغراض معينة خطأ فلسفيٌّ ورجعية، وهذا تطبيق للرأسمالية، ولكن من جانب فكري- إن جاز لي هذا التعبير-

وأصبح التفكيك يبذر الشك في كل البراهين-الأدبية والعلمية والدينية وغيرها- ويقوض أركانها، ويرسي على النقيض من ذلك دعائم الشك، في كل شيء، فليس ثمة يقين، ويكمن هدفه الأساس في تصديع بنية الخطاب، مهما كان جنسه ونوعه.

تاسعا: أبرز المصطلحات المستعملة في التفكيكية:

هناك عدة مصطلحات تبناها المنهج التفكيكي ومن أبرزها ما يلي:

أ- الإرجاء: وهو عند التفكيكية إرجاء المعنى وتعليقه على إشارات أخرى قد تأتي وقد لا تأتي.

وسبب قولهم بالإرجاء -بزعمهم- هو اختلاف الدلالات والتداخل بينها، في كل الكلمات.

نعم، في كل شيء، حتى في لفظ "يختلف" الذي يشير إلى التمييز، أو عدم التساوي، أو التفرد، إلا أنه من ناحية أخرى يعبّر عن تداخل العوامل المؤثرة في عملية التأخر أو التباعد(١).

فبزعزعة العلاقة بين الدال والمدلول أو التشكيك في هذه العلاقة، يبقى معنى النص دائما مرجأ غائبا، لأن الدال لا يحيل إلى معنى ثابت أو مفهوم محدد.

يعكس الإرجاء حالة الإبهام، فترجئ الأمور حتى يكون لدى المرجئ استعداد أفضل للاستيعاب، ولا ندري متى يكتمل الاستيعاب.

فهذا الاستيعاب ليس له حد زمني، بل يمتد إلى مالانهاية، ولأجل غير مسمى.

ولقد أصاب باومان حينما قال: "فالإرجاء يصير غاية نفسه وأصبح أهم شيء هو الإرجاء نفسه، لا الإرجاء بغرض الوصول إلى الاستيعاب"(٢).

ولأجل ذلك – يقول كريستوفر باتلر في كتابه ما بعد الحداثة- أصرّ دريدا وأتباعه، على أن جميع الكلمات لا بد أن تُفسر فقط من منظور علاقتها السابقة التي تشارك فيها؛

---

(١) انظر: جاك دريدا، "الاختلاف في المرجأ" *مجلة فصول*، المجلد السادس، العدد ٣(١٩٨٦م): ٥٢.

(٢) زيجموند باومان، "الحداثة السائلة"، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبه رؤوف عزت، (ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦م): ٢٢٧.

ومن ثم أصبحنا جميعا على أفضل وجه خاضعين لمبدأ النسبية، فنحن أسرى نظام لغوي لا علاقة له بالواقع الخارجي على النحو الذي نتوقعه؛ لأن كل مصطلح ضمن كل نظام يشير كذلك إلى وجود مصطلحات أخرى غائبة ضمن النظام(١).

من هنا يمكن القول، إن هذا الإرجاء التي تبنته التفكيكية أصبحت فيه كل المصطلحات عدمية لا معنى لها محدد، فكل المعاني نسبية، وكل الكلمات لها معاني غائبة عنا، أرجأنا فهمها إلى مالانهاية، وحتى هذه المعاني النسبية في حقيقتها لا علاقة لها بالواقع، هذا هو التصور العدمي لمعنى الإرجاء في التفكيكية.

ب- الانتشار والتشتيت: وهو يعني معنى الإرجاء، إلا أنه يزيد عليه أن المعنى مشتت ومبعثر غائبا عن معناه الأصيل، يصعب ضبطه أو التحكم فيه.

مقولة غريبة ذكرها الناقد التفكيكي بول دي مان في كتابيه "العمى والبصيرة" وكتاب "أمثولات القراءة" تقرّب هذا المعنى حينما يقول:" إن النقاد لا يصلون إلى البصيرة النقدية إلا خلال نوع من العمى النقدي" فهم يتبنون منهجا، أو نظرية، تتضارب تماما مع الاستبصارات التي تؤدي إليها(٢).

ث- موت المؤلف: وهو افتراض موت المؤلف، فلا علاقة للنص بمقصده، وتنتهي علاقة المؤلف بنصه عند آخر سطر يكتبه، ويقع الدور كله على القارئ أو المستمع أو المشاهد المشارك في التعبير عن هذا التلاعب اللغوي، أو تفسيره بمعزل عن أي من النوايا المفترضة لدى المؤلف.

إن هذا الإعلان عن موت المؤلف، يعكس أيضا الميزة السياسية؛ وهي القضاء على المؤلف باعتباره المالك الرأسمالي(٣) البرجوازي(٤) الذي يسوق معانيه.(١)

---

(١) كريستوفر باتلر، " ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٢٢.

(٢) انظر: رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ١٤٢.

(٣) الرأسمالية: هو النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج واستخلاص فائض القيمة. انظر: جلال الدين سعيد، "معجم المصطلحات الشواهد الفلسفية":٤٦٠.

(٤) البرجوازية: وهي مصطلح كان يطلق على الطبقة الوسطى في العصور الوسطى التي كانت تسيطر على كل مفاصل الحياة بما فيها وسائل الإنتاج ومنابع الثروة في المجتمع الأوربي. انظر: مراد وهبه، " المعجم الفلسفي"(ط١، القاهرة: دار قباء الحديثة، ٢٠٠٧م): ١٣٨.

وسبب ذلك أنهم يرون أن الاهتمام بالمؤلف سيؤدي إلى منح امتياز للطرف الخطأ؛ إذ إن اعتبار المؤلف مصدراً لمعنى النص، أو صاحب سلطة تحديد معناه، يضرب مثالاً واضحا على التفضيل لمجموعة بعينها من المعاني، وهذا ما تحاربه التفكيكية، فهي تحارب كل معنى محدد.

فلا ينبغي الوثوق في غرض المؤلف بقدر يفوق الوثوق في واقعيته؛ ومن ثم، نشأ مفهوم جديد للنص باعتباره تلاعبًا حرا بالرموز داخل اللغة.

ج- الغموض وعدم الوضوح: يقول الناقد الأمريكي المعاصر جون سريل، وهو الأستاذ بجامعة كاليفورنيا، وصف لي ميشيل فوكو أسلوب دريدا في إحدى المرات بأنه يتسم بـ"غموض إرهابي"، فالنص مكتوب بأسلوب شديد الغموض إلى حدٍ يجعلك عاجزا عن تحديد الموضوع بالضبط، وعندما تنتقد ذلك، يجيبك دريدا قائلا: "لقد أخطأتُ فهمي، أنت أحمق" لذا وصف بـ "الإرهابي"[٢].

فآلية التفكيكية كلها ترتبط بفكرة جوهرية، وهي استحالة التمييز للمعنى، ورصد التناقض في جذر أية بنية، والتشكك في إمكانية فهم النصوص بشكل قاطع، إذ تطول عمليات القراءة وإساءتها، ويقصدون بالإساءة أن كل قراءة تفسيرية للنص، تسيء للقراءة السابقة لها، -هذا ما ظهر لي-.

ح- المجاز: إن مصداقية هذه النظرة التي ترى النصوص أشكالا من التلاعب البلاغي القابل للتفكيك، تستمد دعما كبريًا من الأطروحة الموروثة، من فريدريك نيتشه[٣]، ومن قراءة أعمال أفلاطون[٤]، التي تزعم أن ما يبدو حرفيًا في ثنايا اللغة، هو في الحقيقة مجازي، وأن كل

---

(١) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٢٨.

(٢) نفس المرجع: ١٤.

(٣) حيث يعد نيتشة بلا منازع من أبرز رواد الفلسفة المادية اللاعقلانية الجديدة وقد لخص رؤيته في عبارته الشعيرة "لقد مات الإله" انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ص٣٩٨ والغرب والعالم، كافين رايلي، ص١٣.

(٤) أفلاطون: فيلسوف يوناني (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) فلسفته مشروحة في شكل حوارات تدور على نظرية المعرفة والوجود يرى أن موضوع الإدراك العقلي هو عالم المثل أو العالم المعقول. انظر: مراد وهبه " المعجم الفلسفي" :٧٧.

ما يمكن اعتباره حرفيًا قد يتضح كونه مجازيًا عند تحليله بدقة أكبر(١).

فنيتشة نظر إلى النص باعتباره مفككا، ولم يحفّه بالقرائن التاريخية، ولذلك يرى أن الحقائق ليست حقائق حتى يتم تفسيرها(٢)، فهو يجنح إلى المجاز اللغوي، ولا يرى أن لها معاني حقيقية دوجماطيقية.

وقد تبع الفيلسوف التفكيكي ميشيل فوكو نيتشة، في إنكاره إمكان امتلاك معرفة موضوعية بالتاريخ، فهو دائما يعتقد أن الكتابة التاريخية ستظل قابعة في شراك المجاز(٣).

خ- فكرة الكتابة: يعتمد التفكيك على الكتابة بدلا من الكلام، ويرى أسبقيته، لأن الكلام يعني اختمار سلطة الخطاب، وإعطاء هذه السلطة للمتكلم، على حين أن الكتابة تمنح النص مزيدا من التفسيرات، تُعطى للقارئ بعد موت المؤلف أو المتكلم.

د- فكرة الغياب والحضور: وهي تعني أن الذات يوجد فيها جانبا خفي وسري، لا يحضر في الوعي، ولا يمكن للفكر أن يتمثله ويعكسه، فيبقى دائما في حالة غياب.

بمعنى أن الدوال تحمل مدلولات تتعدد بالاختلاف، فيحضر هذا المعنى، ويغيب ذاك. وبهذا، تتناسل الاختلافات، وتتعدد المدلولات توالدا وتلاشيا وتفكيكا وتأجيلا وتشتيتا، ويعني هذا كلُّه أن ثمة وحدات تحضر، ووحدات تغيب، في الوقت نفسه.

ومن أبرز من دعا إلى ذلك جان بودريار ٢٠٠٧م أحد أعلام التفكيكية، فقد رفض التمييز بين المظاهر والحقائق الكامنة وراء هذه المظاهر، وبالنسبة له، انهارت أخيرا الفوارق بين الدال والمدلول، ولم تعد العلامات تشير إلى مدلولات بأي معنى معقول، حيث يتكون العالم الحقيقي من الدلالات العائمة، وقد شرح بودريار هذه الأفكار في كتابه "التظاهرات والمحاكاة"(٤).

---

(١) كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة": ٣٠.

(٢) انظر: نيتشه، "غسق الأوثان" ترجمة: علي مصباح، (ط١، بغداد: منشورات الجمل):١٤٩

(٣) رامان سلدن، "النظرية الأدبية المعاصرة": ١٥٥.

(٤) انظر: ديفيد كارتر، "النظرية الأدبية"،(ط١، ترجمة د باسل المسالمة، دمشق: دار التكوين، ٢٠١٠م) : ١٣٢ وانظر لمزيد من الاطلاع: كريستوفر باتلر، "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة" : ٢٢ ورامان سلدن "النظرية الأدبية المعاصرة" : ١٥٥ و وليد قصاب، "مناهج النقد الأدبي، رؤية إسلامية": ١٩٦ ومحمد علي الكردي، "مفهوم الكتابة عند جاك دريدا"، *مجلة فصول*، المجلد الرابع عشر، العدد ٢، (١٩٩٥م): ٢٣٢ وصلاح فضل، "مناهج النقد المعاصر": ١٣٨ ومن =

فتبين من ذلك أن التفكيكية اخترعت لها مصطلحات جديدة ترمي من خلالها إلى العدمية في الوصول إلى المعاني الدوجماطيقية(١)، وذلك بعد أن كانت كل التيارات والمناهج النقدية فيما قبل التفكيكية، كالبنيوية مثلا، تؤمن بقصدية المؤلف، وتؤمن بالوصول إلى المعنى، وتؤمن بحالة الحضور، أي أن الفكر لا يعترف إلا بما بحضر لديه في الوعي، فيتخذ شكل الدلالة والمعنى، أي بين الكتابة أو اللفظ وبين المدلول وهو المعنى، الدال هو الكتابة والمدلول هو المعنى الذي يسعى إليه القارئ، بخلاف التفكيكية التي لا ترى كل ذلك.

فتبين من هذا أن التفكيكية تعدّ من أبرز مناهج النقد ما بعد الحداثي وقد ظهر إثر البيان التفكيكي عام ١٩٦٦م على يد جاك دريدا وكان من أبرز أسباب نشأتها أن الأجيال الجديدة من النقاد تلقّت تلك المفاهيم التفكيكية بعين الرضا إلى جانب ظهوره عقب الحروب العالمية الكبرى الأولى والثانية وأزمة الاقتصاد العالمي في أواخر العشرينات من القرن المنصرم.

وتعمل التفكيكية في النص من الداخل، وهذا العمل يمكن أن يقال عنه: إنه استراتيجية في القراءة تسعى إلى تحرير النص المفتوح من قيد القراءة الأحادية المغلقة، وفتح المجال للقراءات المتعددة اللانهائي.

وللتفكيكية عدة مصطلحات من أبرزها الإرجاء ومصطلح الانتشار والتشتيت ومصطلح موت المؤلف ومصطلح الغموض وهو عدم الوضوح، ومصطلح المجاز، وللتفكيكية جوانب فكرية أبرزها سيادة روح الشك وانعدام الثوابت والحقائق اليقينية حيث تقوم التفكيكية على التشكيك في كل الغيبيات فلم يقتصر تشكيكها في النص، بل حتى في الاعتقادات الغيبية وكل الما ورائيات، بل حتى إنها تشكك في اللغة التي نقلت الأخبار فلا تؤمن بمصداقية اللغة ولا بانطباقها على المعاني

وكذلك تحكم التفكيكية على كتب التاريخ بالفشل، فالتاريخ ليس سوى سرد آخر،

المراجع الأجنبية يمكن أن ينظر: Derrida and Meister Eckhart, John Caputo, "Mysticism and Transgression", New York, Routledge,1989. p.29

(١) الدوجماطيقية: هي التزمت في قوة التمسك بفكرة أو معتقدات لشخص أو مجموعة كما لو كانت حقائق. انظر: قاموس كامبردج.
https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/dogmati

لا تتميز تراكيبه النموذجية عن التراكيب الأسطورية وتكذب مصادره حيث ترى أن التفكيكية أن الادعاءات التاريخية هي روايات شفهية، وترى كذلك أن في النص توترا وتناقضا وعدم انسجام وتعمل على هدم الإجماع على سلطة النصوص وزعزعة الثقة فيها وفي الحقيقة كانت التفكيكية ثورة كاسحة على جميع المفاهيم القديمة التي انتجها الغرب وتقويض لكل القيم التي كانت تعتبر مركزيتها، كالعقلانية والإنسانية والأخلاقية.

مقارنة بين التفكيكية والبنيوية:

إذا كانت الاتجاهات الحديثة قد رفعت شعار سلطة النص، واعتبار المؤلف أحيانا، فإن اتجاهات ما بعد الحداثة ركزت على منطق سلطة القارئ، وسلطان القراءة له، يتصرف في معناه اللا متناهي.

نعم، لقد أصبح النص في مناهج ما بعد الحداثة. لا خطام له ولا زمام. وليس له تفسير واحد، فالتأويل يتعدد بتعدد المؤولين. بخلاف مناهج ما قبل الحداثة، التي كانت تنظر إلى النص مع مساوقاته، مع كامل الاعتبار للمؤلف' حتى يصل الناقد إلى حقيقته المنشودة.

وإذا ما قارنا التفكيكية بالبنيوية، فإننا نجد أن البنيوية أخف الضررين، وأصغر الخطيئتين، وذلك أن التفكيكية ترى انتهاء سلطة النص، وتبدأ سلطة القاري المتلقي على النص.

وترى أن النص لا ينزع إلى التناسق والتجانس، بل يجنح إلى أن جميع النصوص تحتوي عناصر تمزيق، أو نقاط قطع، أو فجوات، تدرك حينما تفحص بدقة بقراءات أخرى هامشية تفضي إلى تعدد القراءات وإساءة كل قراءة لما قبلها –كما سبق-.

وهذا بخلاف البنيوية التي كانت تحاول التوفيق بين ما يكون في النص، من تضاد ووحدة البناء والعضوية ووجود مركز ومبدأ ثابت وتراتبية معان وأساس صلب.

وإن كان النص أيضا فيها متعدد القراءات متنوع الدلالات متاح لكثير من التفسيرات، إلا أنه يمثل بنية مغلقة، ليس بحاجة إلى أي شي من الخارج يساعدنا على فهمه أو تحليله نقدا، فيظل محكوما بالنص وبإمكاناته الداخلية، ولا يحق للناقد أن يضيف شيئا من عنده، أو يتعسف التأويل إلى مالا يحتمله النص [١].

---

(١) عبد العزيزي حمودة، "المرايا المحدبة": ٣١٣ ووليد قصاب "مناهج النقد الأدبي رؤية إسلامية": ٢٩٠.

بينما التفكيكية تعتبره ليس نصا مغلقا، ولا نهائيا، بل لا وجود له أصلا، كالمؤلف الذي أماته التفكيكيون موتا كاملا.

فالتفكيكية ترى أن كل قاري يفسر النص بطريقته الخاصة، بل ينتجه ويعيد كتابته، فهي لا ترى تعدد القراءات كالبنيوية، بل ترى لا نهائية القراءات، في ظل غيبة مركزية النص، ومقصدية المؤلف، بل ترى مقصدية القارئ.

ومن الفروق أيضا أن التفكيكية لا تفرق بين الإبداع والنقد، فالكل في نظرها كتابة، فالناقد كالمبدع.

يقول إيغلتون: " إن نقد ما بعد البنيوية لا يفصل فصلا واضحا بين النقد والإبداع، فكلاهما كتابة على حد سواء"(١)

ومن الفروق أيضا أن التفكيكيين حكموا على كل نص بأنه غير منسجم ولا متجانس، ولا متفق " فكل النصوص تحتوي على نقاط تمزيق، أو نقاط قطع، أو فجوات حين تفحص بدقة"(٢).

هذه أبرز الفروق بين المنهج البنيوي والمنهج التفكيكي، على الرغم من بزوغ ظلام التفكيكية من حالك ليل البنيوية، إلا أنهما اختلفا في نظرتهم إلى النص في تأويلاته أو نقده.

بالإضافة إلى تبني كل منهج منهما كثير من المبادئ الفكرية التي تتعدى مفهوم النص، بل تتعدى مفهوم الأدب برمته، سبقت الإشارة إليها، والله أعلم.

---

(١) وليد قصاب، "مناهج النقد الادبي، رؤية إسلامية": ٢٠٨.

(٢) تيري ايغلتون، "نظرية الأدب": ٧٩.

الخاتمة

- انطلقت البنيوية من فكرة أن البنى المستترة هي التي تحرك الناس دون وعي منهم، ويسمونها التبادل، فهم ليسوا سوى تجليات مختلفة للاشعور البنيوي، فانطلقوا من ميدان اللغة ثم عمموه على بقية الميادين، وتتفق البنيوية مع الماركسية حول الفكرة التي تقول: إن حقيقة الإنجازات البشرية مدفونة تحت ستار الأيدولوجيا.
- تتفق مع الفرويدية حول الفكرة التي تقول: بأن الإنسان يحركه أحيانا اللاوعي، الذي يحتل الجنس مكانة هامة داخله، كما ترفض البنيوية فكرة أن الانسان يصنع فكره بنفسه، وبمحض إرادته، بل ترى العكس، كما أنها سقطت في اللا إنسانية، لأن الانسان أصبح ألعوبة في يد البنى الخفية المستترة، فلم تعد للإنسان قدرة ولا إرادة ولا حرية، بل تحول إلى مجرد ذات مسيرة لا يتكلم ولا يفعل إلا ما تمليه عليه تلك البنى المستترة
- تهتم البنيوية في نقد النص الأدبي تهتم ببنية العمل الأدبي وأدائها لوظائفها الجمالية، واختبار لغة الكتابة الأدبية عن طريق رصد مدى تماسكها، بصرف النظر عن الحقيقة التي تعكسها.
- من أبرز أسباب نشأة البنيوية أنها ظهرت كردٍّ فعلٍ ضدَّ اللاعقلانية الرومانسية، وعلى التحليلات التي تربط الأدب بمحيطه الاجتماعي، إلى جانب الأزمة التي كانت تعاني منها العلوم الإنسانية، والارتباك الذي انتاب منظومة القيم التي كانت سائدة، مع تأثير فلسفة فرويد المتمثل في اللاشعور ونكبة الفلسفات العقلية التي أفرزت ابتلاء البشرية بحربين عالميتين، وتأثرها بفلسفة "كانْط" التي تقوم على الوقائع التجريبية.
- من أبرز مصادرها حركة الشكلانيين الروس، وقد ركزت على دراسة الشكل الأدبي ودلالاته، إلى جانب النقد الجديد الذي يرتكز على المفاهيم اللغوية وذيوع صيت علم اللسانيات الحديث، ولا سيما "ألسنية دي سوسير" الذي يُعد رائد الألسنية البنيوية، وظهور ما يسمَّى" حلقة براغ"، وهي حلقة دراسية تركز على الاهتمام بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة، الصوتية، والتركيبية، والصرفية، والدلالية.
- ظهرت التفكيكية إثر البيان التفكيكي عام ١٩٦٦م على يد جاك دريدا حينما ألقاه في مؤتمر جامعة جون هوبكنز، ثم ضمنه كتابه الكتابة والاختلاف، وبلغت ذروتها في

الثمانينات.

- تعمل التفكيكية في النص من الداخل، وهذا العمل يمكن أن يقال عنه: إنه استراتيجية في القراءة تسعى إلى تحرير النص المفتوح من قيد القراءة الأحادية المغلقة، وفتح المجال للقراءات المتعددة اللانهائي.
- للتفكيكية عدة مصطلحات، من أبرزها الإرجاء ومصطلح الانتشار والتشتيت ومصطلح موت المؤلف، ومنها مصطلح الغموض، وهو عدم الوضوح، ومصطلح المجاز ومصطلح فكرة الكتابة ومصطلح فكرة الغياب والحضور
- أبرز جوانب التفكيكية من الناحية الكفرية هي سيادة روح الشك، وانعدام الثوابت والحقائق اليقينية، حيث تقوم التفكيكية على التشكيك في كل الغيبيات، فلم يقتصر تشكيكها في النص، بل حتى في الاعتقادات الغيبية وكل الما ورائيات، بل حتى إنها تشكك في اللغة التي نقلت الأخبار، فلا تؤمن بمصداقية اللغة ولا بانطباقها على المعاني.

المصادروالمراجع

أبو ديب، كمال "جدلية الخفاء والتجلي" ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م).

أركون، محمد "الإسلام، أوربا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة" ترجمة: هاشم صالح، (ط٢، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠١م)

ايغلتون، تيري "النظرية الأدبية" ترجمة: ثائر ديب، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية).

باتلر، كريستوفر "ما بعد الحداثة، مقدمة قصيرة جدا"، ترجمة: نيفين عبد الرؤوف، مراجعة، هبد عبد المولى، (ط١، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦م).

بارت رولان، "نقد وحقيقة" ترجمة: منذر عياشي (ط١، باريس: دار النماء الحضاري للطباعة والنشر، ١٩٩٤م):

باومان زيجموند، "الحداثة السائلة"، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبه رؤوف عزت، (ط١، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦م).

بروكر، بيتر "الحداثة وما بعد الحداثة"، ترجمة: عبد الوهاب علوب، ط١، أبو ضبي: منشورات المجمع الثقافي،١٩٩٥م)

جاك، دريدا وجياني قاتيمو، "الدين في عالمنا" ترجمة: محمد الهلالي وحسن العمراني، (ط١، المغرب: دار توبقال للنشر،٢٠٠٤م)

حجازي، سمير "المدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق". (ط١، دمشق: دار التوفيق للطباع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)

حرب، على "نقد النص". (ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م).

حمودة، عبد العزيز "المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك"، " (ط١، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٨م).

دريدا، جاك "الاختلاف في المرجأ"، مجلة فصول، المجلد السادس، العدد الثالث ١٩٨٦م.

دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، (ط١، الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٨٨ م)

راجح سامية، "التنقيب عن الأصول الفلسفية واللسانية للنقد التفكيكي"، مجلة المعرفة السورية، العدد،٥٥٨، ١مارس،٢٠١٠.

رسل، برتراند "الفلسفة الغربية"، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م).

سبينوزا، باروخ "رسالة في اللاهوت والسياسة"، ترجمة: حسن حنفي، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٠٢م).

سلدن، رامان "النظرية الأدبية المعاصرة"، ترجمة: جابر عصفور، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)

فضل، صلاح "مناهج النقد المعاصر"، (ط١، القاهرة: الآفاق العربية، ١٩٧٧م).

فضل، صلاح، " مناهج النقد المعاصر" (ط١، القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات ٢٠٠٢م).

قصاب، وليد "مناهج النقد الادبي"، رؤية إسلامية، (ط٢، آفاق معرفة متجددة، ٢٠٠٩م).

قنديل، وردة "البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي" (رسالة ماجستير بالأدب والنقد بكلية الآداب بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بغزة ٢٠١٠م)

كارتر، ديفيد "النظرية الأدبية"، ترجمة د باسل المسالمة، (ط١، دمشق، سوريا: دار التكوين، ٢٠١٠م)

الكردي، محمد علي "مفهوم الكتابة عند جاك دريدا"، مجلة فصول، المجلد الرابع عشر العدد الثاني، ١٩٩٥.

مسلان، ميشال "علم الأديان، مساهمة في التأسيس" ترجمة: عز الدين عناية، (ط١، أبو ضبي: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٩م).

الهادي، التهامي "المدارس التاريخية الحديثة". (ط١، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر،٢٠١٣م).

Bibliography

J. A. Davison, “Protagoras, Democritus, and Anaxagoras,” Classical Quarterly 47 (1953).

Beyond Aeyond Aestheticism, Research in ohenomenology, John Caputo, 18,1988

Christopher Norris: Deconstruction: Theory and Practice Routledge, London-New York. 1999

Deconstructing Theology, Taylor

Internet Encyclopedia of Philosophy. A Peer-Reviewed Academic Resource. httbs; iep.utm.edu. literary

Literary Theory, Terry Eagleton, The University of Minnesota press, Fourth printing,2003

Mysticism and Transgression, Derrida and Meister Eckhart, John Caputo, New York, Routledge,1989

Bibliography of Arabic References:

Eagleton, Terry, "Literary Theory", translated by: Thaer Dib, (Damascus: Publications of the Ministry of Culture, Syrian Arab Republic).

Arkoun, Muhammad, "Islam, Europe, the West, the stakes of meaning and the wills of domination", translated by: Hashem Saleh, (2nd edition, Beirut: Dar Al-Saqi, 2001).

Russell, Bertrand, "Western Philosophy", translated by: Muhammad Fathi Al-Shenety, (Cairo: The Egyptian General Book Authority, 2002).

Brooker, Peter “Modernity and Postmodernity”, translated by: Abdel Wahab Alloub, 1st Edition, Abu Dhabi: Cultural Foundation Publications, 1995).

Derrida, Jacques, "The Difference in the Murja", Fosoul Magazine, Volume VI, Issue III, 1986.

Jacques, Derrida and Gayati Qatimo, “Religion in Our World”, translated by: Muhammad Al-Hilali and Hassan Al-Amrani, (1st edition, Morocco: Dar Toubkal Publishing, 2004).

Derrida, Jacques, “Writing and Difference”, translated by: Kazem Jihad, (1st Edition, Casablanca, Morocco: Dar Toubkal Publishing, 1988).

Carter, David, "Literary Theory", translated by Dr. Basil Al-Masalma, (1st Edition, Damascus, Syria: Dar Al-Takween, 2010).

Selden, Raman, “Contemporary Literary Theory”, translated by: Jaber Asfour, (Dar Qubaa for Printing, Publishing and Distribution, 1998.(

Bart Roland, “Critique and Truth” translated by: Munther Ayachi (1st Edition, Paris: Dar Al Nama Al Hadari for Printing and Publishing, 1994).

Baumann Zigmund, "Liquid Modernity", translated by: Hajjaj Abu Jabr, presented by: Heba Raouf Ezzat, (1st edition, Beirut: The Arab Network for Research and Publishing, 2016).

Rageh Samiya, "Excavating the Philosophical and Linguistic Origins of

Deconstructive Criticism", The Syrian Knowledge Magazine, N. 558, March 1, 2010.

Spinoza, Baruch, "A Treatise on Theology and Politics", translated by: Hassan Hanafi, translated by: Hassan Hanafi, revised by: Fouad Zakaria, (Cairo: Hindawi Foundation, 2002).

Hegazy, Samir "The Introduction to Contemporary Literary Criticism Curricula Between Theory and Practice". (1st edition, Damascus: Dar Al-Tawfiq for printing, publishing and distribution, 2004).

Fadl, Salah, "Methods of Contemporary Criticism" (1st Edition, Cairo: Merritt for Publishing and Information 2002).

Fadl, Salah, “Methods of Contemporary Criticism”, (1st Edition, Cairo: Arab Horizons, 1977).

Harb, on "Criticism of the Text". (4th Edition, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 2005).

Butler, Christopher, "Postmodernism, a very short introduction", translated by: Nevin Abdel-Raouf, review, Hubed Abdel-Mawla, (1st edition, Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture, 2016).

Abu Deeb, Kamal “The Dialectic of Invisibility and Transfiguration”, 3rd Edition, Beirut: Dar Al-Ilm for Millions, 1984).

Hamouda, Abdel Aziz, “Convex Mirrors from Structuralism to Deconstruction,” (1st Edition, Kuwait, The National Council for Culture and Arts, 1998).

Al-Kurdi, Muhammad Ali, "The Concept of Writing according to Jacques Derrida", Fosoul Magazine, Volume Fourteen, Issue Two, 1995.

Maslan, Michel, "The Science of Religions, a Contribution to the Founding", translated by: Izz El-Din Inaya, (1st Edition, Abu Dhabi: The Arab Cultural Center, 2009).

Al-Hadi, Al-Tuhamy, "Modern Historical Schools". (1st Edition, Lebanon: Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing, 2013).

Qassab, Walid, "Methods of Literary Criticism, an Islamic vision”, (2nd edition, Horizons of Renewed Knowledge, 2009).